



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص أدب حديث ومعاصر

الموسومة بـ:

الخلفية الاجتماعية في أدب مولود فرعون "الدروب الصاعدة" - أنموذجا -

إشراف الأستاذ:

نھاري شريف

إعداد الطالبتين:

❖ نجوى نور الايمان

❖ وانيد هاجر نور اليقين

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا

مشرفا ومقررا

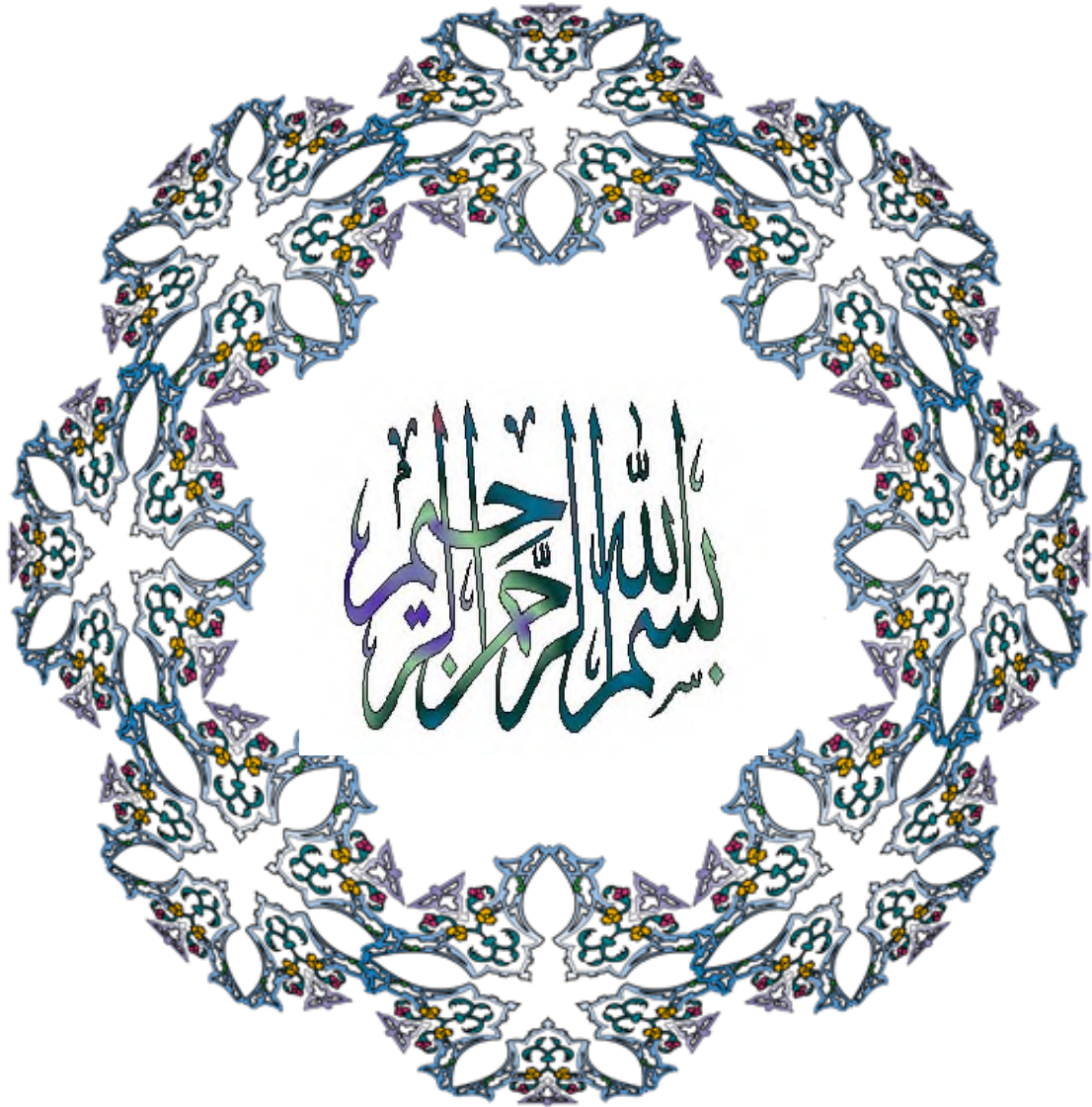
عضوا مناقشا

د. عطى الله ناصر

أ. نھاري شريف

د. بوعزيزة علي

الموسم الجامعي: 1441ھ/1442ھ - 2020م/2021م

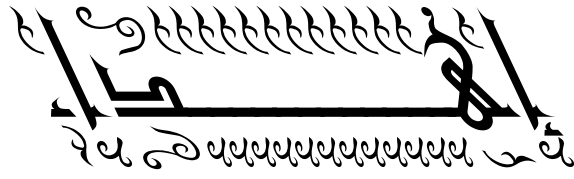


كلمة شكر ونقد

الحمد لله رب العالمين، حمدا طيبا مباركا فيه ملء السموات والأرض وملء ما بينهما
وملء ما شاء من شيء بعد الصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين

شكرا لله أولا وأخيرا فهو الذي أماننا على إكمال هذه الدراسة
كما نتقدم بشكرنا وتقديرنا للأستاذ المشرف "نهارى شريف" الذي أشرف على هذا
العمل

وشكرا لكل من ساعدنا على انجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة



إلى من علمني النجاح والصبر والدي الحبيب

إلى رمز الحنان والحب أُمي الغالية

إلى إخواني محمد رامي، صلاح الدين، بلال

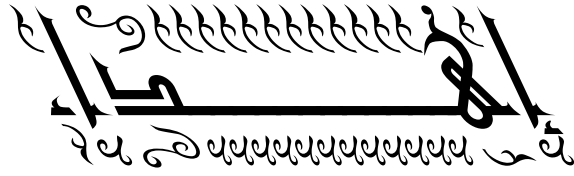
إلى أختي جيهان نور الايمان، حسنية، انفال

إلى رفيقتي كريمة، نجوى نور الايمان، ربحانة

إلى كل هؤلاء اهديهم هذا العمل المتواضع، سائلا إلى استاذي نهاري شريف

الله العلي القدير أن ينفعنا به ويمدنا بتوفيقه

هاجر نور اليقين



إلى من حملتني تسعة أشهر إلى غاليتي حبيبة قلبي إلى دينتي إلى جنتي فصدق من
قال الأم مدرسة تعلمت منك الكثير والكثير وأنا الآن أقف على منصة لمناقشة
مذكرتي كم تمنيت الوقوف هنا لكي أرى دموع الفرح التي تزودني بالقوة وأتمنى أن
أكون نلت رضاك ولا أنسى سندي، وقوتي، وحياتي إلى أبي الحبيب الغالي هاهي
ابنتك الآن ترفع لك رأسك وتبهي مسيرتها في دراسة أتذكر تلك الكلمات التي قلتها
لي عند أول يوم لي في دراسة منذ أربعة وعشرين عام بقولك من هنا يبدأ مشوارك
لكي ترفعي رأسك أيك. إلى كاتمة أسراري إلى أملي ونوري إلى إخوتي نور اليقين
ونور الهدى أشكركم جزيل شكر لأن الدنيا أعطتني لؤلؤات مثلكم وإن كنت
سأتحدث عن نعيم الحياة فسأبد بأخي مصعب وموسى حقا أتم كزني في هذه الحياة
وإلى رفيقات دربي ها قد انتهى مشوارنا الدراسي كم من ذكريات تبقى في مخيلتي لا
تنسى أبدا سأفتقدكم ويبقى حبكم في قلبي مغروس ولا أنسى أستاذي نهاري شريف
الذي ساعدني وإلى جدتي وخالاتي أخصهن في جملة وأقول لهم أنهم كضحكات المطر
تبلى بالحب روجي.

نور الإيمان

مقدمة

إن الأدب الجزائري المكتوب اللغة الفرنسية وليد عوامل كثيرة، من أبرزها الاستعمار الفرنسي الاستيطاني للجزائر الذي اتخذ سياسية التجنيس وسيلة لطمس الهوية الجزائرية والعربية والإسلامية، واستعمل مختلف الطرق بغية تحقيق ذلك منها: حظر تعليم اللغة العربية، ومحاربة المدارس القرآنية والزوايا التي اطلعت بمهمة تعليم الجزائريين لغتهم ودينهم وتفويض دور المسجد، في المقابل قام الاحتلال الفرنسي بتشجيع الحملات التبشيرية وإنشاء مدارس الفرنسية المختلطة في المدن التي ضمت الأغلبية الفرنسية وأقلية جزائرية لتكريس تعلم اللغة الفرنسية باعتبارها لغة الثقافة والحضارة لتكوين جيل جديد يتطلع إلى القيم الفرنسية بوصفها القيم المثالية.

ظلت الرواية الجزائرية تعالج موضوع الثورة التحريرية وما ترتب عنها من آثار نفسية واجتماعية إلى تجسيد الواقعي إلى أحوال المجتمع، من خلال وصف الفرد الجزائري وعاداتهم ونفسياتهم وهمومهم المرتبطة بأرضه.

ارتكزت الرواية الجزائرية في عقد السبعينات على تجسيد الواقعي لأحوال المجتمع وانحصرت في التعبير عن الايديولوجيا السائدة فتخلفت عن موجة التجديد التي طالت الرواية العربية وحتى الجزائرية المعبرة عنها بالفرنسية ومواكبتها التغيير الحاصل في الغرب على مستوى البنية والمضمون، تبني الكتاب الجزائريون لغة المستعمر واستعانوا برسمها ليؤلفوا نصوص جزائرية الروح والانتماء هذا كله دفعنا إلى اختيار موضوع دراستنا المعنون بـ: "الخلفية الاجتماعية في أدب مولود فرعون" وأخذنا روايته "الدروب الصاعدة" أنموذجا بغية الوقوف على الروح الجزائرية فيها حيث تحمل مساءلة وملامسة للواقع على أساس ما سبق ذكره نطرح التساؤلات الآتية: كيف برزت الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي؟ ما العلاقة بين الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والثورة التحريرية؟ كيف جسدت رواية الدروب الوعرة واقع الفرد الجزائري؟ وهل استطاعت رسم الصورة الاجتماعية والثقافية في المجتمع القبائلي؟

لو أردنا الكشف عن دافعنا من وراء اختيار هذا الموضوع بالذات دون غير من المواضيع هو الشغف الكبير لدراسة الرواية، ورغبتنا في الكشف عن تلك الدلالات والإيحاءات التي تحملها الرواية الجزائرية عامة ورواية مولود فرعون "الدروب الوعرة" خاصة.

للإجابة على جميع أسئلتنا والخوض في غمار البحث الممنهج اعتمدنا على جانبين في الدراسة: اشتملت على مقدمة ومدخل حيث تضمن المدخل: الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ونشأته وكذلك الإشكالية وكان الجانب الأول نظري والثاني تطبيقي ليوضح ما أدرج في الجانب الأول.

وتقسيم هذين الجانبين كان على النحو التالي:

الفصل الأول: وتشمل دراسته الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي في عمومها إذ أوردنا فيها نبذة عن حياة مولود فرعون قبل كل شيء، وبعدها نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وتلتها مباشرة الرواية الجزائرية وإشكالية الهوية والانتماء وأخيرا علاقة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والثورة التحريرية تطرقنا فيها إلى عنصرين: اثر الرواية الجزائرية في الكتابة الروائية، وبرز كتاب الرواية الثورية الفرنسية.

الفصل الثاني: الذي حددنا فيه دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون حيث درسنا دلالة العنوان، والدوافع الاجتماعية في تشكيل خطاب مولود فرعون، وكذلك تطرقنا إلى القضايا الاجتماعية في عمل الرواية ودلالة الأشياء والأماكن في الدروب الوعرة وأهينا فصلنا هذا بملخص لرواية الدروب الوعرة.

وأخيرا أتممنا دراستنا هذه بخاتمة أنجزنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد استندت الدراسة على جملة من المصادر والمراجع على رأسها: الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها لأحمد منور إضافة إلى المرأة في الرواية الجزائرية لمفقودة صالح ومذكرة ماجستير بعنوان ترجمة الثقافة الاثنوغرافية في روايتي مولود فرعون لكهينة حورية حفاط.

وكغيرنا من الباحثين واجهتنا جملة من الصعوبات منها:

كانت هناك صعوبة في جمع المادة العلمية لعدم توفرها في مكاتبنا .

قلة المراجع المعتمدة في الجانب النظري ما أدى بنا إلى اخذ وقت كبير للبحث عن المراجع.

حيث استعنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وسبب اختيارنا له راجع لطبيعة الموضوع المعالج بالدرجة الأولى، ولمعرفة مختلف القضايا الاجتماعية التي اثارها الرواية الجزائرية. يتخلله بعض من المنهج التاريخي الذي أفادنا في الفصل الأول حيث تعرضنا للتطور الفني للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ونشأتها. كل هذا إلا أننا استطعنا بعون الله أن نتجاوز كل المعوقات لإخراج البحث على ما هو عليه، وسنقول في النهاية أن الموضوع سيظل مفتوحاً وقابلاً للمراجعة والبحث، إيماناً منا بأن النقص حتمية لا غنى عنها. ونرجو أن تلقى دراستنا هذه القبول والتقدير.

جامعة ابن خلدون

تيارت في: 2021/07/13م

وانيد هاجر نور اليقين

نجوى نور الإيمان

مدخل

الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية بين النشأة والإشكالية

الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

نشأة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

الإشكالية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

1) الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية:

ولدت الحرب العالمية الثانية في الجزائر حياة أدبية أكثر ثراء وأكثر انفتاحا وتنوعا، قد جاء ذلك من صدمة الحرب، وبداية الاتصال بالثقافات أخرى، وأصبح الأدباء الجزائريون، خاصة الشباب المطلوبين لدى القراء والناشرين، وقد ساعد ذلك على ظهور ما يسمى بالمدرسة الجزائرية. ففي بداية القرن الماضي كان الفرنسيون يعملون على أن تنطق شمال إفريقيا اللاتينية، وتحمس لهذه الفكرة أدباء فرنسيون مثل لوي برتران وروبير راندر، ثم مع بداية الثلاثينات كان الفكرة هي صناعة إفريقيا على المنوال المتوسطي، وظهر جيل من الأدباء في السنوات عرفوا تحت أسم (شباب البحر المتوسط) كان أغلبهم من الفرنسيين، فوفي الأربعينيات لمع الأديب الشاب ألبير كامى باعتباره فرنسيا يعيش ويكتب عن الجزائر، وسمى هذا الجيل الذي عاصر الحرب في الجزائر من الفرنسيين بجيل الاستعماري الثالث، ومن أبرز أبنائه (إيمونال روبليس) (صاحب مسرحية ثمن الحرية) وقد شكل هذا الجيل مدرسة الجزائر، الذي ظهر إبداعه في مجلات مهمة مثل مجلة (فونتان) و(لارش)، و(لانف) وما لبثت هذه المجالات أن انتقلت إلى باريس عقب انتهاء الحرب. وقبل أن تنتهي السنوات الأربعينات بدأت الأسماء الجزائرية الحقيقية تلمع في الأفق، ولأول مرة يظهر تعبير الأدب العربي مكتوب بالفرنسية (فرانكفون) في الجزائر، وفي تلك السنوات كان الاستعمار الفرنسي يتعامل مع اللغة العربية الفصحى باعتبارها من التراث، وكان يتم تعليمها في أضيق الحدود في فرنسا، وهكذا وجد الجيل الأول من الأدباء الجزائريين أنفسهم أمام اختيار واحد هو الكتابة بلغة الفرنسية التي ينتقدونها، ومن أبناء هذا الجيل هنا جان حمروش، مولود معمري، مولود فرعون، ونبيل فارس وهم جميعا من البربر ولغتهم الأصلية هي اللغة البربرية، أما الأدباء الذين لغتهم الأصلية هي العربية هناك مالك حداد، ومحمد ديب، كاتب ياسين. وقد فاصل هذا الكاتب الجزائري أن يستخدم اللغة التي يمتلك ناصيتها أكثر من غيرها، وهي أيضا في تلك آونة لغة بني وطنه¹.

¹ - محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص 179.

ويقول كتاب (الأدب الفرنكفوني) منذ عام 1945، أن مسألة اللغة مكتوبة لم تكن تهم كثيرا في مجتمع ترتفع فيه نسبة الأمية أكثر من 90٪ قبل عام 1960م، ولذا فإن الكاتب العربي في تلك الآونة يكتب لقارئ، آخر وهو القارئ، الفرنسي، أو الأوروبي بشكل عام وقد أحدثت هذه الظاهرة ويسمى بالمأساة اللغوية المستعمر، فالكاتب يمتلك لغتين لا يستطيع أن يستخدم أدوات واحدة منها في التعبير، وكان الكاتب يحس أن الفرنسية هي اللغة الأم طالما أنه يحس بها، ويحلم ويفكر، أما اللغة العربية فهي لغة غريبة في تلك الأونة، لذا اختار الكتابة بها دون أن يشعر بأي ندم، لأنه لم يكن يملك سوى أن يفعل ذلك.

وقد شكلت هذه الظاهرة خطورة على الكاتب الذي يجب أن يناهض هذا الاستعمار. فأحس أن عليه أن يهاجر إلى لغته العربية، ولكن هذا لم يحدث بسهولة، ولعله لم يحدث لمن كانت جذورهم أشد في اللغة العربية، وقد كتب كاتب ياسين أكثر من مرة أن "موقف الكاتب الجزائري الذي يعبر بالفرنسية هو أنه بين خطين من النيران يجبر أنه أن يبدع، وأن يرتحل". وقد كان الجيل الذي ظهر في عام 1952م أكثر شهرة في البلاد العربية، حيث أن أغلب أعماله قد ترجم إلى اللغة العربية وخاصة في مصر، فمن المعروف أن ثلاثية محمد ديب "البيت الكبير" و"الحريق" و"الدول" ترجمت في مصر في أواخر الستينيات ونشرتها روايات الهلال، و من أبناء هذا الجيل. هناك جان حمروش ثم مولود فرعون وهؤلاء الأدباء مالبثوا أن دخلوا في المعركة مع الشباب الذين جاءوا من بعدهم مثل الكاتب ياسين والبشر الحاج، علي مالك حداد، منهم شعراء ومنهم كتاب الرواية كما هو معروف¹.

2) نشأة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية:

يرجع المؤرخ والباحث جان ديغو أول نص. لدى كتبه جزائري باللغة الفرنسية إلى سنة 1891 وهو عبارة عن قصة بعنوان انتقام الشيخ. وبين السنوات العشرينيات من القرن العشرين التي ظهرت فيها عدة نصوص أدبية، حيث إن الجزائريين كتبوا باللغة الفرنسية ولاسيما في مجال الرواية فإن

¹ - محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، ص 180.

جان ديجو المسرح الأول الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يتخذ سنة 1920 كإطلاق حقيقي لهذا الأدب الناشئ ويعد مؤلف القايد بن الشريف بداية تلك الانطلاقة وينظر إليه على أنه أول رواية يكتبها جزائري باللغة الفرنسية إذا سلمنا بهذا التاريخ على أنه بداية الأدب الجزائري بالمكتوب بالفرنسية، وهو مالا ينكره بعض الباحثين المعروفين ولكنهم يتجاهلونه في الوقت ذاته كما يتجاهلون كل ذلك الأدب الذي كتبه الجزائريين بالفرنسية، حيث أن هنالك ملاحظة لا يمكن تجاوزها، وهي طول المدة التي تفصل بين بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر وبداية ظهور هذا الأدب وفي الحقيقة أن هناك عوامل وأسباب عديدة أخرجت ظهور هذا الأدب أبرزها عاملان رئيسيان الأول سياسة العدوان التي انتهجها الاستعمار طوال احتلاله للجزائر وحره الاستئصالين، الشيء الذي جعل العلاقة بين المحتلين وأهل البلد الشرعيين علاقة حرب وتوتر دائم منعت أي احتكاك إيجابي بين الطرفين ووقفت حائلا دون أي تعاون مثمر سواء على الصعيد السياسي أو الفكرية، وذلك لانعدام الثقة بينهما¹.

والعامل الثاني يتمثل في سياسة التعليم التي طبقها المحتلون في الميدان أو على الأصح سياسة التجهيل التي طبقوها ولقد كان الجزائريين والمستوطنون الأوربيون يعيشون جنبا إلى جني ولكن كخطين متوازيين لا يلتقيان كان لكل مجتمع منهما حياته الخاصة التي يشاركه فيها الطرف الآخر فالمستوطنين الأوربيين مقاهيهم وملاهيهم ومسارحهم وللجزائريين مقاهيهم وجمعياتهم الثقافية ونظرا لهذه الوضعية العدائية المستحكمة التي ظلت العلاقة بين الطرفين فقد كان أي تبادل ثقافي أو تلاحق فكري أو تأثير حضاري بينهما يكاد يكون متعلم لقد كان المحتل ينظر في الغالب إلى الثقافة المحلية نظرة احتقار أما الجزائريون يتوجسون خيفة من ثقافة المحتل ويقابلون بحذر كل ما يصدر عنه ولكن هذا الوضع عرف عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى بعض الانفراج ووقع ما يشبه نوعا ما من التقارب الحذر بين الطرفين، حيث حاول كل طرف الانفتاح على الآخر وساعة على الانفراج الدولي وإعلان مبادئ التي

¹ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط 01، 2007، ص 130.

تحدثت لأول مرة ومن حق الشعوب في تقرير مصيرها، كما ساعدت على تسجيد هذا الانفراج إجراءات سياسي وإدارية اتخذتها الحكومة الفرنسية خففت من التوتر وهيأت الأجواء المناسبة وأصبح يعرف بقوانين 4 فبراير 1919 التي. ألغت السلطات الاستعمارية بموجبها معظم مواد قانون الانديجينا العنصرية الذي كان يحكم الجزائريين بقبضة من حديد، حيث أصبح في أماكن الجزائريين لأول مرة في تاريخ الاحتلال الفرنسي الجزائر حق إنشاء الأحزاب السياسية وإصدار الصحف، وكان هنالك عامل سياسي آخر له تأثير في اتخاذ تلك الإجراءات الإصلاحية في السياسة الفرنسية في الجزائر تمثل في بداية استعداد المحتلين للاحتفال بالذكرى المئوية للاحتلال الجزائر أمام الرأي العام العالمي والفرنسي نفسه يبرر استمرار احتلال البلد، ويظهر ثمار الرسالة الحضارية التي طالما أدعى الاستعمار الفرنسي أنه جاء لنشرها في الجزائر، فكان لابد من تشجيع الأدب وهكذا ظهرت فجأة وبعد أكثر من تسعين عام من الاحتلال أعمال أدبية باللغة الفرنسية لجزائريين كتبت على عجل للمناسبة ونشرت على عجل أيضا بالرغم مما كانت تنطوي عليه من نقائص وعيوب " فكان المؤلفون الجزائريون يريدون أن يبرهنوا للمستعمر أنهم تلاميذ نجباء ومقتدرون.

واعتبر الأدباء والروائيين ككتاب فرنسيين قبل سنة 1962 وذلك لأن الوضع القانوني للبلاد يلحقها بفرنسا ويعتبرها جزء منها أي إنتاج أدبي فيها ينضوي تحت مظله الدب الفرنسي ولكن المعمرين ممن كانت لهم انتاجات أدبيه حاولوا أن يستقلوا بانتاجاتهم ويميزوها عن غيرها بإعطائها صفة الانتماء الجزائر¹.

وقد عالج الكتاب من فئة المعمرين في نصوصهم مواضيع عده منها العادات والتقاليد العربية والإسلامية لدى سكان الأهالي، واقع المعمرين وانشغالهم، مسألة الزواج بين الطوائف (المسلمين، المسيحيين) وفرص التعايش بينهم، ولم تخل بنياتهم اللغوية من مفردات مستمدة من اللهجة المحلية وحاول بعض الباحثين وضع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في خانة واحده مع الأدب الفرنسي المكتوب في الجزائر، فذكر منها رواية الطاعون la peste والغريب l'étranger لالبير كامواني التي

¹ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، ص 131.

جرت إحداثها في مدينته وهران، حيث كشفت كتاباتهم عن رؤى عالميه وتوجهات إنسانيه ولم تهتم كثيرا بكشف عن الواقع المرير الذي عاشته الجزائر في تلك الفترة 1995 حتى وان ضمت كتابا ولدوا في الجزائر لكنهم كانوا موالين لسياسة فرنسا وكانت كتاباتهم امتدادا لكتابات الفرنسيين داخل فرنسا ما يجعلها في حالة تنافر مع الكتابات التي كتبتها الجزائريين باللغة الفرنسية، فالجزائر كانت بالنسبة لهم الأم وليس الوطن البديل، كما عبر عنها الكتاب الفرنسيين الذين عاشوا في الجزائر والذين كانوا متشبعين بالثقافة الفرنسية والفكر الغربي ومنتمين إلى فئة مغايرة لم تفهم قط رؤية الشعب الجزائري ولم تشاركه شعوره حيال عده قضايا جوهرية ولم تعرف معنى الازدواجية اللغوية شكلت اللغة الفرنسية العنصر الأساسي المشترك بين كتابات الروائيين الجزائريين والروائيين من المستوطنين وحتى الفرنسيين الذي زادوا الجزائر أو كتبوا عنها، وقد اعتبر هؤلاء عدا الكتاب ذو الأصل والمنشأ الجزائري أنهم جزائريون.

وأن أدبهم كذلك وأن الأحداث الأخيرة كما اصطلحوا على تسمية الثورة لن تؤثر فيهم وفي انتمائهم للجزائر وحبهم لها دفع بمالك حداد إلى الرد عليهم في مقال مشهور (الأصفار تدور في فراغ) قائلا ليس جزائريا بالمرّة كل من أراد ذلك لأن المسألة أعمق بكثير من مجرد اختيار الانتماء إلى بلد دوم آخر فالانتماء التاريخي يسبق الجغرافي والانخراط في الضمير الجمعي والمساهمة في الكفاح إلى جانب الشعب يمنح حتما شرف انتساب إلى الجزائر تماما ما فعل هنري كريا وجان سيناك¹.

يرجع مالك حداد الفرق بين الكتاب والمستوطن والأهالي رغم أنهم يكتبون بلغة واحدة هو الحنين إلى اللغة الأم التي منعت من تعلمها فأصبحوا بذلك أيتام بإضافة إلى الانتماء الدين الإسلامي والثقافة الجزائرية بكل مقوماته، حيث ذهب بعض الكتاب إلى القول بأن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أدب فرضته المرحلة وهو الأدب انتقالي سيزول بمجرد زوال بواعثه وجاءت هذه الآراء مع اقتراب تاريخ استقلال الجزائر ووصفوا بأنهم كتاب جزائريون منفيون في اللغة الفرنسية وأن نصوصهم هي تماما مثل السينما الصامتة التي اختلفت بمجرد ظهور السينيما الناطقة ومثالنا في

¹ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، ص 133.

ذلك مالك حداد الذي انقطع عن التأليف باللغة الفرنسية إلا نادرا بعد الاستقلال ودعا الكتاب الآخرين إلى تبني موقفه وفسح المجال للكتاب باللغة العربية ومما أثار انتباه رفضه تسمية الأدب الجزائري باللغة الفرنسية واستعماله عوض عن ذلك الأدب الفرنسي ذو التعبير الجزائري فهو فرنسي بالنظر إلى وسيلة التعبير ولكنه جزائري قلبا وروحا، حتى محمد ديب الذي لم يرشد في استخدام اللغة الفرنسية ويعود ليقول أنه لن يشعر أبدا بانتماء المجتمع ما بمجرد الكتابة بلغته.

أما مولود معمري وكاتب ياسين فلا يرون في توظيف اللغة الفرنسية غير وسيلة لتوصيل أفكارهم ولا يشعروهم ذلك بأي عقدة نقص بل هو إثراء الأدب الجزائري. وكانت نسبة الأمية في جزائر غداة استقلال تناهز 85% من عامة الشعب فقد تكلم وكتب بها عدد قليل من الجزائريين الذين ينتمون للطبقة المثقفة وأما العربية فلم تكن أحسن حالا نتيجة سياسة محاربة اللغة العربية التي انتهجها الاستعمار، وحتى خيار انتقال من كتابة باللغة الفرنسية إلى اللغة الفرنسية لم يكن متاحا نظرا لجهل الكتاب بأدبيات وجماليات هذه اللغة باستثناء قلة قليلة وضعف عدد القراء المحتملين، فاعتزل مالك حداد الكتابة بالحرف الفرنسي وتوجه ديب إلى عوامل الرمزية والتجريدية بعيدا عن أدب النضال الذي كتبه وسلم كاتب ياسين منحى مغاير باختياره التأليف المسرحي باللهجة الجزائرية الذي اعتبرها اقرب وسيلة تخاطب عقول اعمال والفلاحين والطبقات الكادحة، أما مولود معمري فحافظ نوعا ما على وتيرة منتظمة وأن كانت متباعدة لإنتاج نصوص روائية ومسرحية ولكن مجهوده تركز في اللغة أمازيغية وإحياء تراثها وتقوية مكانتها، أما أسيا جبار فقد حاولت أن توازن بين استعمال اللغة الفرنسية وتضيف التراث الشعبي الجزائري في نصوصها الروائية وأتجهت إلى تنويع إنتاجها فوجلت الشعر والمسرح وحتى السينما¹.

3) إشكالية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية:

يطرح الأدب الجزائري الفرنسي اللغة اشكاليات كثيرة مما دفع البعض إلى التساؤل عن الهدف من وجود اعمال ادبية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية بجانب الانتاج الأدبي بالعربية وفي اطار دراسات

¹ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، ص 134 - 135.

عربية إلا ان هناك اطروحات كثيرة تتبنى ادماج المنتج الأدبي باللغة الفرنسية ضمن الاداب الجزائرية وتدعو لهذا الجمع منها ان هذه الاعمال تكون وحدة مترابطة وان كانت تفصل بينها اللغة فان الروح الجزائرية الاصلية تجمعها كما انها نسجت تعابيرها على نفس الخلفية الثقافية الشعبية ووحدت بين اصحابها معاناة مماثلة من الاحتلال الفرنسي للجزائر، إن انتشار اللغة الفرنسية في الجزائر ونشوء جيل من الكتاب الجزائريين لا يعرفون اللغة العربية، ولا يمكنهم التعبير عن مشاعرهم إلا بلغة المستعمر آثار معركة أدبية حول الجنسية هذا الأدب هل يكون ادبا جزائريا؟ أم يكون أدبا فرنسيا؟ أم يكون ادبا مهجنا.

إن دراسة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية تطرح إشكالية التعبير أو ما اطلق عليه مالك حداد جنسية الأدب وهي إشكالية يصعب تحليلها في ضوء المعطيات المتوفرة اذ تمثل نموذجا فريدا في الاقطار العربية اذا استثنينا الاقطار المغاربية ان الأدب الجزائري المعاصر يواجه مشكلة ليس لها نظير في بقية الاقطار العربية وهي مشكل التعبير، وهي في نظرنا ذات الحدين فهي قومية من جهة وفنية من جهة اخرى انها قومية لأننا نعانيها على مستوى وطني إذ أن كل مواطن يمكن ان يتساءل بأية لغة يجب ان يكتب الأدب الجزائري هل بلغة الشعب التي كانت ولا تزال وستبقى دائما لغة الضاد أم بلغة دخيلة فرضتها علينا الأوضاع الاستعمارية ولمن يكتب الاديب هل يكتب لأبناء قومه ام للأجانب هل هو اذن ادب الخاصة، وتختلف الرؤى بشأن استعارة اللغة الفرنسية في الكتابات الأدبية فاحمد طالب في مؤلفة الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة يرى انه في غمرة هذه الظروف الاستثنائية التي عاشتها الجزائر لم تفرض اللغة الفرنسية نفسها على الحياة الاجتماعية العامة فحسب، بل وصلت عن طريق التوغل والنمو والانتشار إلى الفكر والتعبير عن كذلك، مما ساعد على خلق ظاهرة خاصة في ميدان الأدب هي وجود كتاب جزائريين يكتبون في موضوعات وطنهم ومشكلاته بلغة المستعمر¹.

¹ - عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية بحث في النظرية والاصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية، د ط، اتحاد كتاب العرب للنشر والتوزيع، دمشق، 2003، ص 155 - 156.

ويرى عبد الكبير الخطيبي في مؤلفيه في الرواية المغربية أن الكاتب الجزائري إذا تعصب للكتابة بلغته فإنه يقضي على نفسه بأن يتحدث إمام جمهور من الصم ذلك أن الشعب غير متعلم ولا يقرأ أي لغة والمتعلمون ليفهمون إلا لغت المستعمر وإذا لم يبقى له إلا مخرج واحد يقدم له على أنه مخرج طبيعي وهو الكتابة بلغة الاستعمار وفي هذه الحال لا يعدو أن يغير مآزق بأخر ويرى محمد الطمار إن الأدباء الناطقين بالفرنسية يعتبرون بأن مقياس الجنسية الأدبية هو تعبير عن الذات الحقيقية يصرف النظر عن الجنسية الأديب وينقل عن إبراهيم غافر قوله عن الأدب الفرنسي اللغة إن المهم إن يؤدي الكاتب شهادته وان يكتب باللغة التي سمحت له الظروف بان يتعلمها وان يعبر عن الواقع الحي في بلاده ويلتقط الصور الناطقة في أصول بيئته ومجتمعه وان تبقى شهادة الكاتب وثقة ثمينة يخلفها لمن يمدده حتى يستمر الأديب في تأدية واجبه المقدس وانه ليسمن العار أن يكتب الكاتب باللغة الفرنسية أو غيرها مادام يحسنها ويسخرها طيعة أمينة ويحتج الأدباء الناطقين باللغة الفرنسية على هذا الفصل الشكلي بينهم وبين زملائهم الأدباء الناطقين بالعربية ويؤكدون بأنهم عرب وبأن أدبهم عربي وعن ذلك يقول مالك حداد نحن نكتب باللغة الفرنسية لا بجنسية فرنسية ويقول مراد بوربون: "إن اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصا للفرنسيين وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة، بل إن أية لغة إنما تكون ملكا لمن يسيطر عليها ويطوعها للخلق الأدبي ويعبر بها عن حقيقة ذاته القومية. وينقل محمد طمار موقف الناطقين بالعربية في قوله: "وأما الناطقون بالعربية فيعدون الأدب الناطق بالفرنسية دخيلا، وقد نبت في ظروف تاريخية غير شرعية"¹.

ويذهب فريق آخر إلى أن هذا الأدب، لا بد أن ينقطع أصله، وأن مصيره الزوال بزوال الأسباب التي أنتجته، فما هو إلا صورة لمرحلة من مراحل التاريخ ذات محن وذكريات أليمة والواقع ان الرؤى تعددت حول الإجابة عن هذا الطرح: لمن يكتب هذا الأدب، الذي يعبر حقا عن أوضاع المجتمع الجزائري ومآسيه؟ لعله من الصعب جدا الاكتفاء بنظرة واحدة وإهمال الاتجاهات الأخرى

¹ - عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية، ص 157.

المؤثرة في وجود ثقافة محتواها عربي، و شكلها ولغتها أجنبيان. و في هذا الصدد يعرض الدكتور حنفي بن عيسى في دراسة نشرها في مجلة الثقافة تحت عنوان "الرواية الجزائرية المعاصرة" طرحا خطيرا يتعلق بوجود ونمو أدب جزائري باللغة الفرنسية، يقول فيه: "إن هذا الأدب مدين في نموه إلى أحزاب اليسار الفرنسية التي شجعتته ورأت فيه عنصرا يستجيب لخططها وأغراضها، وذلك أن الأوروبيين لم يكونوا يعرفون الإنسان العربي إلا عن طريق الصورة التي رسمها المستشرقون. فالعربون. فالعربي في نظر هؤلاء هو ذلك الشخص الجامد التفكير، المتعصب في دينه، المؤمن بالقضاء والقدر القانع بقسمته في الحياة. نحن لا نرفض هذا الطرح جملة وتفصيلا، ولكننا في الوقت نفسه لا يمكن أن نثبتته في مجال دراسة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، ذلك أن العامل الذي ذكره الدكتور حنفي بن عيسى يمكن اعتباره مؤثرا خارجيا لظهور هذا الأدب ونموه، لكن هناك عوامل أخرى أثرت تأثيرا مباشرا في هذا الأدب باعتباره "ظاهرة ثقافية سوف يلتفت إليها المؤرخون حتما عندما يتصدون لدراسة المراحل التي قطعها الشعب الجزائري في كفاحه من أجل التحرر من التبعية الثقافية على كل حال فإن الأدب الجزائري الفرنسي اللغة قد تمحورت مضامينه حول ظلم الفرنسيين وإرهابهم للوطنيين ومحاولاتهم الرامية إلى مقاومة التعريب وفرض الإدماج كما صور هذا الأدب فقر وبؤس وألام المواطن العربي الجزائري إبان الاستعمار"¹.

¹ - عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية، ص158.

الفصل الأول:

الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسية

تمهيد

- 1- نبذة عن حياة مولود فرعون
- 2- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية
- 3- الرواية الجزائرية المكتوبة بالقلم الفرنسي وإشكالية الهوية والانتماء
- 4- علاقة الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي والثورة التحريرية
- أثر الرواية الجزائرية في الكتابة الروائية
- أبرز كتاب الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية

تمهيد

إن الدراسة في هذا الفصل حاولت البحث عن البدايات الأولى للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية المستمدة من تراثنا الأدبي العربي عامة فهي تعكس روح العصر الذي عاش وترعرع فيه الروائيين الجزائريين، لأنه كائن حي يتفاعل مع العصر الذي يعيش فيه ويستجيب لمتطلباته حيث جعل الإصرار على تداول إبداعات الروائيين الجزائريين باللغة الفرنسية الهوة تتسع بين المبدعين الجزائريين حيث كانت الرواية الجزائرية على وجه خصوص رهينة الواقع الجزائري الذي سيطر عليه الاستعمار الفرنسي، وصبغة بكل ألوان الظلم والبؤس وهكذا كان كل الروائيون الجزائريون شهودا على أوضاع مجتمعهم مع ما يجري حولهم من أحداث.

1- نبذة عن حياة مولود فرعون:

ولد مولود فرعون 08 مارس 1913 قبيل الحرب العالمية الأولى، بمنطقة تيزي هيبل القبائلية وينتمي إلى آل شعبان، إلا أن الاحتلال هو الذي أعطاه اسم فرعون، كما تؤكد الناقدة الفرنسية سيلفي تينو في مقالة بعنوان مولود فرعون كاتب في خصم حرب الجزائر. بعد عصيان عام 1871 قررت فرنسا أن تحكم قبضتها على منطقة القبائل، وذلك بإعداد سجلات للأفراد وتسجيل أسمائهم، غير أن القبائل البربر سكان تلك المنطقة من الجزائر لا يتحدثون الفرنسية ولا العربية. وجدت سلطات الاحتلال الفرنسي صعوبة في التواصل معهم، فقررت أن تطلق أسماء مجازية على كل عائلة، غير أن تلك الأسماء هي ما احتفظ به في السجلات والأوراق الرسمية وهكذا صار مولود شعبان هو مولود فرعون، فرعون هو الاسم الذي اقترن به والذي أعطاه له الفرنسيون.

ويتضح ذلك أيضا من خلال رواية ابن الفقير التي يحكي فيها عن صبي صغير يشبهه تماما وينتمي إلى عائلة شعبان: "عمي وأبي يحملان اسمي رمضان ولونيس، غير أنهم في الحي اعتادوا أن ينادوهم باسم "أبناء شعبان" لا أعرف حتى الآن لماذا؟".

ولد فرعون في عائلة فقيرة وفي مثل تلك الظروف كان يسهل التنبؤ بمستقبله، راعي أغنام في قريته، إلا أن الأقدار قدمت له الكثير، فعلى الرغم من الفقر المدقع، أسر والده على إرساله إلى المدرسة الابتدائية وربما حالفه الحظ في ذلك، لأنه الصبي الوحيد بين شقيقاته، كانت أولى خطاه في التعليم غير موفقة، غير انه سرعان ما انتبه وعرف مذاق التفوق، مذاقا خاصا غلفه القلق، قلق من لا يعرفون الثراء وعليهم أن يحصلوا على كل شيء بكد وعرق، تحدى مولود فرعون ظروفه القاسية والمصاعب المختلفة بمثابرته واجتهاده وصراعه مع واقعه القائم، التحق مولود فرعون بالمدرسة الإعدادية بتيزي وزو عام 1928 وفي مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة بعد ذلك، ورغم وضعه البائس تمكن من التخرج في مدرسة المعلمين وانطلق للعمل بعد تخرجه، فاشتغل بالتعليم حيث عاد إلى قريته تيزي هيبل التي عين فيها مدرسا سنة 1935 ميلاديا في الوقت الذي بدأ يتسع فيه عالمه الفكري وأخذت القضايا الوطنية تشغل اهتمامه. وكما أعطى من علمه لأطفال قريته أعطى بالمثل له للقرية

التي احتضنته تلميذا للقرب من مسقط رأسه بأقل من ثلاث كيلومترات، وهي قرية تاويرت موسى التي التحق بها معلما سنة 1946 في المدرسة نفسها التي استقبلته تلميذا وعين بعد ذلك سنة 1952 مديرا لإحدى إدارات التعليمية. أما في عام 1957 فقد التحق بالجزائر العاصمة مديرا لمدرسة (نادور) (في المدينة حاليا) كما عين في 1960 مفتش لمراكز اجتماعية كان قد أسسها احد الفرنسيين في 1955 وهي الوظيفة الأخيرة التي اشتغل بها قبل أن يسقط برصاص الغدر والحقد الاستعماري في 15 مارس 1962¹.

2- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

إن الأدب الجزائري شأنه الآداب العالمية والعربية يتأثر بما حوله من عوامل التاريخية والاجتماعية والفكرية والسياسية منصهرة لتكونه وشاءت الظروف أن يولد هذا الأدب وخاصة الرواية في مرحلة الاستعمار الفرنسي للجزائر الذي اتخذ من سياسة التجنس والإدماج وقتل العربية وسلب لطمس الهوية الجزائرية والإسلامية وهذا بإتباع طرق مختلفة منها إجبارية التعليم اللغة الفرنسية بدل من اللغة العربية وقضاء على المدارس القرآنية وإنشاء مدارس فرنسية مختلفة واعتبار اللغة العربية لغة غير رسمية كما وضعت قيود أمام المثقف. الجزائري فحرمه من إطلاع على الثقافة إسلامية والعربية وإدعاء بانتماء عليها وهكذا نجحت فرنسا إلى حد ما في إنشاء جيل متشبع بالقيم والثقافة الفرنسية وناسيا أو متناسيا قضيته موجهة نظره إلى العالم وقد اتخذ من اللغة الفرنسية بديلا عن اللغة الأم واعتز بانتمائه إلى فرنسا من خلال مجموعة من كتابات القصصية والروائية سميت بالأدب الكولونيالي.

إن الكتاب الجزائريين الذين استعانوا بالحرف الفرنسي بدل من حرف الفرنسي كانوا من الطبقة مثقفة وشغلوا مناصب مهمة باعتبارهم تخرجوا من المدرسة الفرنسية وساندوا الاندماج ونادوا بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين ومن هنا يعتبر مؤرخ الأدب الجزائري المكتوب بلغة. فرنسية جان ديجو سنة 1920 البدانة الفعلية لظهور الرواية الجزائرية المكتوبة بلسان الفرنسي مع رواية أحمد بن

¹ - مولود فرعون، رواية ابن الفقير، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014، ص 8-10.

مصطفى قومي لصاحبها القايد بن الشريف¹ ثم تلتها محادثة روائية سنة 1925 ميلادي لعبد القادر الحاج هو لزهرة زوجة عامل المنجم حيث قلد فيها الكاتب تقنية الرواية طبيعية عند أمبيل زولا ولي سنة 1929 ميلادي كتب سليمان ابراهيم مشاركة مع إتيان ديبه رواية تحت عنوان راقصة أولاد نايل وكذلك عبد القادر فكري بمواقفه روبرراندو حوار قصيصيا بطابعه السياسي بعنوان رفاق الحديقة سنة 1933.

ويلاحظ الباحث والمتتبع التاريخ الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية والفرنسية مع أن الظروف السياسية كانت سببا في تأخرها لكن المشتركة الجزائريين بالامتيازات فقد سمحت لهم بإنشاء الأحزاب السياسية والمشاركة في الانتخابات وإصدار الصحف امتيازات واهية اختارت فرنسا توقيت منحها للجزائر واستعداد لذكرى المئوية للاحتلال الجزائر المتحضرة وان هذا الشعب يجني ثمار الاحتلال له هذه الظروف ساعدت المبدع الجزائري على عدم التوقف وإنتاج حظوظ سردية كثيرة ومن أهم الأعمال الروائية التي انتحت الفترة بين 1920-1930 إضافة إلى الروائيتين السابقتين مأمون بدايات مثل أعلى ورواية العليج أسير بروبوسيا للروائي شكري خوجة.

ويظهر من خلال هذه الكتابات أن هؤلاء الروائيين المتشبعين بالثقافة الفرنسية سيشعرون بالامتنان لفرنسا وهذا ما أفصح عنه الروائي رابح الزناتي في رواية بولنوار الشاب الجزائري من حد الجزائريين أن تكون الدولة الأكبر والأكثر حضارة هي: المعلمة فمعها يمكن، الجزائري من أن يخطو خطوات أعمق².

ومشى على خطاه شكري خوجة الذي تحدث على لسانك بطل روايته (مأمون) تملك فرنسا حقا عليا وهذا وغيره كله نتيجة. سياسة. لاستعمار وطمس. الهوية الوطنية ومحاربة اللغة العربية والشخصية الجزائرية فقد نمر. الخيال. الروائي الجزائري برؤية تحفيزية يغلب عليها الطابع المهمجي والتخلف والقطيعة مع الحضارة وهناك من ذهب برواياته إلى وصف الإنسان الجزائري على أنه جزائري

¹ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، ص 74.

² - جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، دراسة فيزيونقدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث، جامعة وهران، 2010، ص 37.

وساذج وخبيث كما وجهت هذه الكتابات إلى تمجيد الآخر الفرنسي وجعلته هو المركز وبعض الكتابات لم تمجد الاستعمار وحضارته ولم تتصدى الواقع الاستعماري المرير الذي عايشه الشعب الجزائري إلا أنها تمكنت بطريقة غير مباشرة من أن تتحدث عن بعض الآثار السلبية التي انتشرت في المجتمع الجزائري نتيجة الاحتكاك بالثقافة الفرنسية مثل معاقرة الخمر ولعب القمار وفي المقابلة نجد بعض الأفلام الروائية الجزائرية التي كتبت باللغة الفرنسية نتجت عن انتمائها الوطني وهويتها الضائعة بعدما شنتها الاستعمار بين (العروبة الامازيغية والإسلام) والقيم الفرنسية المفروضة عليها ومن أهم الأعمال التي تناولت ذلك (مريم بن النخيل) 1936م¹.

ومثل هذه الروايات شكلها فيما بينها المتن الروائي الجزائري والذي تميز بأسلوبه الجمالي لطغيان السلطة التحليلية للأوضاع السائدة آنئذ لكن هذا الوضع لم يلبث حتى بدأت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية تؤسس لنفسها متنا ومرآة تعكس نفسها وبدأ الروائي الجزائري يفكر بالعقلية الجديدة ليقلب الموازين حيث الأنا (الأهالي) هو صاحب الكلمة أي نو منيح الكلام عن الآخرين بمعنى أنه أصبح بؤرة إنتاج الرؤى والأفكار أي أن نتحول إلى المركز في حين أصبح الآخر الفرنسي في الهامج بظهور تيارات سياسة في تلك الفترة التي طالبت بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين وهنا فقط أدرك الجزائري أن هناك هوة سحيقة بينه وبين الفرنسي وتغيرت النظرة الجزائرية إلى فرنسا لعين غريبة ودخيلة ونظرت فرنسا إلى الجزائري نظرة واحتقار فأثرى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية تغييرا تماشيا مع الظروف الجديد وخاصة الحرب².

3- الرواية الجزائرية المكتوبة بالقلم الفرنسي وإشكالية الهوية والانتماء:

تعتبر إشكالية هوية وانتماء الرواية الجزائرية التي تكتب باللغة الفرنسية من أكثر الإشكاليات تداولها من النقاد وطرحها من طرف الباحثين فيرى البعض أنها أدب فرنسي لأنها كتبت بالفرنسية

¹ - خليف هوارية، دراسات معاصرة، مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية، منشورات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، المركز الجامعي الونشريس، تيسمسيلت، العدد 02، 2017، ص 77-80.

² - نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وثورة التحرير "صراع اللغة والهوية"، مجلة المخبر أبحاث اللغة والأدب العربي"، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 07، 2011، ص 71.

واتخذت من بنيتها التعبيرية والجمالية في شكلها ويرى البعض الآخر أنها أدب جزائري لأن روحها محليه وواقعها جزائري محض.

إن الكتابة بلغة المستعمر ليست بالأمر الجديد على الساحة الأدبية العالمية، فقد عرفت في بلدان آسيا وإفريقيا، وكما أنها ليست حكرا على الاستعمار الفرنسي وحده فقد وجدت آداب أخرى في المستعمرات الأوروبية وقد كتبت الإنجليزية والإسبانية وحتى الهولندية، إذن إشكالية هوية الأدب والرواية بصفة خاصة مطروحة أيضا بالنسبة للأدب الآسيوي والإفريقي المكتوب باللغات الدخيلة فالجزائر مثلا اعتمدت لغة واحدة هي اللغة العربية في تعاملها وإدارة شؤونها قبل الاحتلال، ولكن بعد الاحتلال زاحمت اللغة الفرنسية التي فرضها المستعمر اللغة السائدة وحاول من خلالها خلق ازدواجية لغوية تنتصر فيها اللغة العربية كانت محاربه بكل الطرق والوسائل الإستراتيجية تضمن تفكيك المورث التاريخي والثقافي للجزائر وتخلق صراع طبقي بين مجموع المتكلمين، أما في حالة البلدان التي تعددت لغاتها ولهجاتها قبل فترة الاحتلال مثل الهند فقد ساهمت لغة المستعمر في توحيد الجهود الفكرية وتبقى لغة واحدة تجمع أبناء البلد الواحد الذين يتكلمون لهجات مختلفة ويضاف إلى ذلك الاستعمار، فالاستعمار الاستيطاني في الجزائر عمل على هدم البنية اللغوية والثقافية بغية طمس معالم الهوية الأصلية واستبدالها بأخرى جديدة وغريبة¹.

واعتبر الأدباء والروائيين ككتاب فرنسيين قبل سنة 1962 وذلك لأن الوضع القانوني للبلاد يلحقها بفرنسا ويعتبرها جزء منها أي إنتاج أدبي فيها ينضوي تحت مظله الدب الفرنسي ولكن المعمرين ممن كانت لهم انتاجات أدبية حاولوا أن يستقلوا بإنتاجياتهم ويميزوها عن غيرها بإعطائها صفة الانتماء إلى الجزائر.

وقد عالج الكتاب من فئة المعمرين في نصوصهم مواضيع عدة منها العادات والتقاليد العربية والإسلامية لدى سكان الأهالي، واقع المعمرين وانشغالهم، مسألة الزواج بين الطوائف (المسلمين،

¹ - جبور فاطمة الزهراء، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية رواية لماذا تحلم الذئاب لياسمين خضرة "دراسة تطبيقية"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2015-2016، ص 45.

المسيحيين) وفرص التعايش بينهم، ولم تخل بنياتهم اللغوية من مفردات مستمدة من اللهجة المحلية وحاول بعض الباحثين وضع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في خانة واحده مع الأدب الفرنسي المكتوب في الجزائر فذكر منها رواية الطاعون la peste والغريب l'étranger لالير كامواني التي جرت أحداثها في مدينة وهران.

حيث كشفت كتاباتهم عن رؤى عالمية وتوجهات إنسانية ولم تهتم كثيرا بكشف عن الواقع المرير الذي عاشته الجزائر في تلك الفترة 1995 حتى وإن ضمت كتابا ولدوا في الجزائر لكنهم كانوا موالين لسياسة فرنسا وكانت كتاباتهم امتداد لكتابات الفرنسيين داخل فرنسا ما يجعلها في حالة تنافر مع الكتابات التي كتبتها الجزائريين بالغه الفرنسية، فالجزائر كانت بالنسبة لهم الأم وليس الوطن البديل كما عبر عنها الكتاب الفرنسيين الذين عاشوا في الجزائر والذين كانوا متشبعين بالثقافة الفرنسية والفكر الغربي ومنتمين إلى فئة مغايرة لم تفهم قط رؤية الشعب الجزائري ولم تشاركه شعوره حيال عدة قضايا جوهرية ولم تعرف عن الازدواجية اللغوية شكلت اللغة الفرنسية العنصر الأساسي المشترك بين كتابات الروائيين الجزائريين والروائيين من المستوطنين وحتى الفرنسيين الذي زادوا الجزائر أو كتبوا عنها، وقد اعتبر هؤلاء عدا الكتاب ذو الأصل والمنشأ الجزائري أنهم جزائريون وأن أدبهم كذلك وأن الأحداث الأخيرة كما اصطالحوا على تسمية الثورة لن تؤثر فيهم وفي إنتمائهم للجزائر وحبهم لها دفع بمالك حداد إلى الرد عليهم في مقال مشهور (الأصفر تدور في فراغ) قائلا ليس جزائريا بالمرّة كل من أراد ذلك لأن المسألة أعمق بكثير من مجرد اختيار الانتماء إلى بلد دوم آخر فالانتماء التاريخي يسبق الجغرافي والانخراط في الضمير الجمعي والمساهمة في الكفاح إلى جانب الشعب يمنح حتما شرف انتساب إلى الجزائر تماما ما فعل هنري كريا وجان سيناك¹.

¹ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، ص 125.

يرجع مالك حداد الفرق بين الكتاب والمستوط والأهالي رغم أنهم يكتبون بلغة واحدة هو الحنين إلى اللغة الأم التي منعت من تعلمها فأصبحوا بذلك أيتام بإضافة إلى الانتماء الدين الإسلامي والثقافة الجزائرية بكل مقوماتها¹.

حيث ذهب بعض الكتاب إلى القول بأن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أدب فرضته المرحلة وهو الأدب انتقالي سيزول بمجرد زوال بواعثه وجاءت هذه الآراء مع اقتراب تاريخ استقلال الجزائر ووصفوا بأنهم كتاب جزائريون منفيون في اللغة الفرنسية وأن نصوصهم هي تماما مثل السينما الصامتة التي اختلفت بمجرد ظهور السينما الناطقة ومثالنا في ذلك مالك حداد الذي انقطع عن التأليف باللغة الفرنسية إلا نادرا بعد الاستقلال ودعا الكتاب الآخرين إلى تبني موقفه وفسح المجال للكتاب باللغة العربية ومما أثار انتباه رفضه تسمية الأدب الجزائري باللغة الفرنسية واستعماله عوض عن ذلك الأدب الفرنسي ذو التعبير الجزائري فهو فرنسي بالنظر إلى وسيلة التعبير ولكنه جزائري قلبا وروحا.

حتى محمد ديب الذي لم يرشد في استخدام اللغة الفرنسية ويعود ليقول أنه لن يشعر أبدا بانتماء المجتمع ما بمجرد الكتابة بلغته.

أما مولود معمري وكاتب ياسين فلا يرون في توظيف اللغة الفرنسية غير وسيلة لتوصيل أفكارهم ولا يشعروهم ذلك بأي عقدة نقص بل هو إثراء الأدب الجزائري. وكانت نسبة الأمية في جزائر غداة استقلال تناهز 85٪ من عامة الشعب فقد تكلم وكتب بها عدد قليل من الجزائريين الذين ينتمون للطبقة المثقفة وأما العربية فلم تكن أحسن حالا نتيجة سياسة محاربة اللغة العربية التي انتهجها الاستعمار وحتى خيار انتقال من كتابة باللغة الفرنسية إلى اللغة فرنسية لم يكن متاحا نظرا لجهل الكتاب بأدبيات وجماليات هذه اللغة باستثناء قلة قليلة وضعف عدد القراء المحتملين، فاعتزل مالك حداد الكتابة بالحرف الفرنسي وتوجه ديب إلى عوامل الرمزية والتجريدية بعيدا عن أدب النضال الذي كتبه وسلم كاتب ياسين منحى مغاير باختياره التأليف المسرحي باللهجة الجزائرية

¹ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، ص 125-126.

الذي اعتبرها أقرب وسيلة تخاطب عقول أعمال والفلاحين والطبقات الكادحة، أما مولود معمري فحافظ نوعا ما على وتيرة منتظمة وأن كانت متباعدة لإنتاج نصوص روائية ومسرحية ولكن مجهوده تركز في اللغة أمازيغية وإحياء تراثها وتقوية مكانتها، أما أسيا جبار فقد حاولت أن توازن بين استعمال اللغة الفرنسية وتضيف التراث الشعبي الجزائري في نصوصها الروائية واتجهت إلى تنويع إنتاجها فولدت الشعر والمسرح وحتى السينما¹.

4- علاقة الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي والثورة التحريرية:

علاقة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والثورة التحريرية: المثير في الكتابة الروائية هذا التباعد بين المكتوب باللغة العربية والمكتوب باللغة الفرنسية سواء في الجاني التعبيري الصف أم في القيم والمحمولات العربية الثقافي، هذا إلى جانب انتشار الرواية المكتوبة باللسان الفرنسي في العالمين العربي والغربي أكثر من الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية. هذه الأسبقية التاريخية في الظهور أثرت على البعد الجمالي والفني إلى جانب ما تضمنته الرواية باللسان الفرنسي من تراكم ثقافي، أكسبها القوة التواصلية مع الآداب الغربية والمغربية، من هنا اكتسبت الرواية الفرنسية قيمتها الإعلامية والدعائية. لقد شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية ولغوية متميزة، أثارت حولها جدلا كبيرا بين النقاد والدارسين، منهم من عدّها رواية عربية باعتبار مضامينها الفكرية والاجتماعية وغالبية النقاد اعتبرها رواية جزائرية مكتوبة بالفرنسية، باعتبار أن اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي تكسب بها الأدب هويته، ثم أن الكتابة الروائية بالفرنسية قد ساهمت في نمو الأدب الفرنسي، أكثر مما ساهمت في إخصاب الأدب العربي².

¹ - جبور فاطمة الزهراء، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية رواية لماذا تحلم الذئاب لياسمين خضرة "دراسة تطبيقية"، ص 48.

² - نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، ص 221-222.

- أثر الثورة الجزائرية في الكتابة الروائية:

لقد كان للاستعمار الفرنسي على الجزائر والذي امتدت من عام 1930 إلى 1962، أثر على المجتمع الجزائري بنواحيه المختلفة السياسية والاقتصادية والثقافية، وهكذا كان الأدب الجزائري والرواية على وجه الخصوص رهينة هذا الواقع الذي سيطر على الاستعمار طويلا فكان الروائيون الجزائريون شهودا على أوضاع مجتمعهم متفاعلين على ما يجري حولهم.

شكلت الثورة نقطة تحول أساسية في ميسر التجربة الروائية الجزائرية، حيث أصبح الحديث عن الثورة نقطة تحول أساسية في ميسر التجربة الروائية الجزائرية، حيث أصبح الحديث عن الثورة والنهل منها اعتبارا ضروريا في الكتابة الروائية، سواء يسرد بطولاتها أم بتشكييلها، وحتى وان شكلت توجيهات تنتقد منطقتها ونتائجها وتطعن في انجازات بعض القائمين بها، فإنها تجسد تصور البطل النموذجي وصناعة الوعي على الرغم من أن التعامل مع الثورة وصف بالسطحية أحيانا والمثالية والاحتفالية التي لم تتجاوز حدود الانعكاس. أي أن التعامل مع موضوع الثورة لم يكن تعاملًا تاريخيا كما لم يكن هناك استغلال إيداعي للثورة بإعادة إنتاج أحداث ومواقف و بطولات تستمد مرجعيتها من تاريخ الثوري باعتبار أن الرواية عمل تخيلي يوهم بالواقع ولا يعكسه، وإن كان يتجاوزه ويتمثل التجاوز علة مستوى الصياغة وبناء الشخصية ورسم الحدث وإقامة علاقات قائمة أساسا على عمليات لتحيين القيم التي ينطلق منها السارد¹.

وهكذا وجد الروائيون الجزائريون أنفسهم في مواجهة لغة الجانب "الأقوى" (أنذاك) فكانت اللغة الفرنسية سبيلهم لمحادثة هذا الطرف في ظل الظروف التي فرضها هذا المستعمر على اللغة العربية بصفتها اللغة الأم ولأن اللغة تعتبر من مقومات هوية الأمة فقد استعملت فرنسا جميع الأساليب للقضاء على اللغة العربية، فقد كان غزو فرنسا غزوا شاملا كان يهدف إلى التغلغل في أرض الجزائر واحتلالها احتلالا شاملا ودائما، ولم يكتف منه الغزاة بالسيطرة على أراضيها ونهب خيراتها وإذلال

¹ - نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، ص 222.

أهلها فحسب، وإنما يذهبون فيه إلى أبعد من ذلك بالنيل من الأسس المعنوية والمميزات الحضارية للشعب الجزائري والظعن في عقيدته وتشويه قيم تراثه وطمس معالم شخصيته.

كان على منتجي الرواية باللغة الفرنسية، خلق مسافة لتأمل التاريخ ونقد الذات، ونقد الآخر. فمن خلال هذه المسافة وفي ظل هذه المساحة. بدأ الإعلان عن روائي جديد يبشر بإنسان جديد وبعقل جديد، قلب موازين البطولة الروائية. فإذا كان الآخر "الفرنسي" هو المركز في الرواية الاستعمارية في "الانا" أي "الأهلي" هو الهامش. وفي هذا النص الجديد ولد إنسان جديد¹.

– أبرز كتاب الرواية الثورية الجزائرية باللغة الفرنسية:

كثير من الكتاب الجزائريون الذين كتبوا عن الثورة الجزائرية: عن الفترة التي سبقتها وخلال اندلاعها وحتى بعد الاستقلال وتصنف جميع هذه الروايات ضمن أدب وأدب الثورة الجزائرية، ولعل أبرز هؤلاء الروائي الجزائري مولود فرعون الذي كتب "ابن الفقير le fils du pauvre" الصادرة سنة: 1953 بين فيها كيف يكون الطبع الحقيقي للرجل القبائلي، حيث يولد الطفل في هذه المنطقة، من أجل المعركة في سبيل الحياة، إما الجانب الذي تصوره الرواية وهو الجانب الذي يصف الظروف التي مهدت لثورة التحرير، أنه الصراع من أجل إجادة لغة غريبة وثقافة غريبة حيث يشعر "فورولو fouroulou" بنفسه غريبا في الثانوية ويخشى الطرد لاتفه الأسباب.

تعد رواية "ابن الفقير" سيرة ذاتية تصف طفولة الكاتب ومراهقته. أما روايته: "الأرض والدم" la terre et le sang الصادرة سنة 1957 وقعت أحداثها ما بين الحربين العالميتين وتنتهي في عام 1930 يعاني فيها البطل: عامر معاناة شديدة بسبب هجرته إلى فرنسا طلبا للعمل ليعود إلى قريته مع زوجته الفرنسية ولكنه لا يتمكن من التأقلم مع واقعه الجديد في قريته الصغيرة فلا هو تمكن من التأقلم في الغربة ولا تمكن من الحياة في قريته من جديد إلا بصعوبة كبيرة. ويعد مولود فرعون نموذجا لجيله جمع من الحياة في ذاته عاملين وثقافتين وصور المشكلات والمتناقضات التي زحرت بها مرحلة يقظة الوعي الوطني الجزائريين في تلك المرحلة المرتبطة بالكفاح من أجل الاستقلال.

¹ - نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، ص 223.

كاتب آخر كانت له بصمة واضحة في أدب المقاومة، انه محمد ديب الذي ولد بتلمسان عام: 1920 وهو مؤلف الثلاثية المسماة "الجزائر" ولا يزال اسمه يقترن بهذا العمل الأدبي المتميز وهو الثلاثية: الدار الكبيرة 1952 la grande maison، الحريق 1954 L'incendi، النول 1957 la métier a tisser ولا يكاد يذكر اسم محمد ديب إلا وذكرت معه الثلاثية ويرجع أمين الزاوي سبب هذا الارتباط بعمل أدبي واحد وشهرته على حساب أعمال محمد ديب الكثير إلى¹:

*-تعلق القارئ المسلم-على حد قول محمد ديب نفسه- بعمل واحد، عمل واحد يتبناه ويستجيب لرغباته، والذي يتحول فيما بعد إلى "كتاب مقدس" وهذا يجيء من جراء التربية الدينية، حيث يتلخص كل شيء بالنسبة للإنسان المسلم في شيء واحد هو القرآن... وبالنسبة للقارئ الجزائري (والعربي) تمثل "الدار الكبيرة" هذه الحالة.

*-الاحتفاء السياسي الذي يقابل به هذا الأب من قبل الأوساط الثورية والديمقراطية والثورية واليسارية في أوروبا، والمعادية للاستعمار وأساليبه الهمجية إذ كان الاحتفاء في كثير من المرات يتجاوز الأدب إلى الاحتفاء بالثورة الجزائرية.

*-الالتزام السياسي وارتباط اسم محمد ديب بالثورة الجزائرية من خلال الممارسة السياسية.

*-البعد الوطني الاجتماعي الذي حملته هذه الثلاثية، وتنبؤها التاريخي بالثورة الجزائرية من خلال تعرية جملة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل المستعمرة.

*-كونها أول عمل يشكل بحق ادبا وطنيا متميزا حقق القطيعة النهائية مع أدب "مدرسة الجزائر" الذي كانت نتيجة أقلام الكتاب الفرنسيين الذي كانت تنتجه أقلام الكتاب الفرنسيين الذين عاشوا في المستعمرة.

*-أما على الساحة العربية فقد كانت ترجمة الدكتور سامي الدروبي للثلاثية، تلك الترجمة البديعة، عاملا آخر كن عوامل شهرة هذا العمل في الشرق بعد أن حقق شهرة واسعة في الغرب.وقد صادفت الترجمة حماسا جماهيريا منقطع النظير كان لا يزال يحتفل بانتصار الثورة الجزائرية.

¹ - نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، ص 225.

*- كاتب آخر يعد من كتاب الرواية الجزائرية بالفرنسية أنه مولود معمري الذي نشر "الربوة المنسية" 1952 la colline oublié وتبتدئ وقائع الرواية في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، لتصور الوضع في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي، ويعبر الكاتب عن مآسي الشعب وأحزانه وبؤسه. أنها فترة اليأس والقنوط بدون الأمل بدأت تلوح، كنتيجة التغيرات التي طرأت على الوضع السياسي في الجزائر. أما رواية "الافيون والعصا L'opium et le bâton" والتي نشرت 1955 التي تمثل ظاهرة باللغة الأهمية في الرواية الجزائرية. وقد تميزت أعمال مولود معمري بشكل عام بمسايرتها للوقائع السياسية، إضافة إلى تصوير المجتمع القبائلي بكل خصائصه، كما تناول الثورة التحريرية التي انخرط فيها، فقط صور بعمق تلك المعاناة النفسية التي عاشها الفرد الجزائري العادي والفرد المثقف والبرجوازي الصغير أمام تلك التجربة.

والشيء نفسه ربما يكون قد فعله مالك حداد مع بعض الخصوصيات، التي رافقته طوال حياته، "فمن رصيل الإزهار لا يجيب" إلى "سأهبك غزالة je t'offrirai une gazelle" إلى "الشقاء في خطر" ظل حداد يحمل مأساته المزدوجة، وربما بحس يختلف عن الآخرين، هذا الهم المزدوج "الاستعمار واللغة" هو الذي حدد مسار كل مسار أعماله.

فبالرغم من مأساة اللغة ظل هذا الأديب نقياً، يعبر عن هموم وطنية وقومية وإنسانية، برؤية تقدمية في شكلها العام، بعيدة عن كل روح شوفينية متعصبة، الأمر الذي ساعده على السقوط في التعميم والغموض، مثل الكتاب الفرنسيين الذين عاشوا في الجزائر.

تتمثل الرؤية الأكثر عاطفية تجاه الثورة التحريرية في أعمال مالك حداد فهي تعتبر مجموعة من العواطف، والأحاسيس أكثر منها مجموعة للأفكار والآراء¹.

تشكل روايته قصائد شعرية، تظهر فيها من حين إلى آخر تصريحات وطنية وحماسية، وهو ينظر إلى الحدث كشاعر بقلبه قبل فكره. الحقيقة أن مالك حداد له مفهومه الخاص للالتزام، ففي روايته "سأهبك غزالة" يروي قصة حب بين سائق شاحنة وفتاة شابة، تعيش في الواحة التي يتوقف

¹ - نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، ص 226.

فيها السائق ليستريح، وهو رحلته عبر الصحراء. فالكاتب في رأي حداد لا يلتزم إلا بشخصيات روايته. لكنه لم يهمل ثورة التحرير والمجاهدين، الذين كانوا يقاتلون من أجل أن يحققوا السعادة والخير لشعبهم، أو من أجل الغزلان.

وتكاد تجسد رواية "التلميذ والدرس" L'élève et le leçons" لمالك حداد أعمق الوثبات الفنية للمتناقضات الدامية، التي يكتوي بها وجدانه. والشكل الفني نفسه يكاد ينطق بغلبة الدماء الجديدة، ومالك حداد يبدأ صياغته من الكلمة فالجملة إلى بقية النسيج الروائي، ولا يفعل العكس: أن يصمم هيكلًا روائيًا للأحداث والشخصيات والمواقف، ثم يملأه بالكلمات. أي أن الشاعر ببساطة يسيطر على الروائي. وتكاد الرواية في كثير من المواضع تتحول إلى قصيدة شعرية. وهذا يفسر أن البناء الذي انتهت إليه هو "المونولوج" في "التلميذ والدرس" في جوهرها مونولوج طويل، فنحن لا نعترف طوال الرواية إلا على شخصية واحدة لهذا الطبيب الجزائري الكهل، القاطن في إحدى المدن الفرنسية، وحيدا بعدان ماتت زوجته. والمفارقة الروائية التي ينطلق منها حداد هي أن الطبيب -الأب- حريص على إبقاء حفيده بين أحشاء الإبنة -المناضلة- التي قصدهت راغبة في الإجحاض، يكشف لنا حداد عن رمز البطولة في المقاومة الجزائرية، من خلال هذه الرواية¹.

وضع حداد في روايته الأب وابنته وجها لوجه، الابنة التي تعمل في صفوف المقاومة. ومثل هذه المواجهة، تعتبر مظهرا آخر لصراع الأجيال، الذي تجلى واضحا في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وفي الواقع فإن رواية ما لم حداد هذه تعتبر أفضل رواياته وهي أكثر تماسكا وحيوية ومحتوى بالرغم أن الدور الكبير يتركز في معظمه على مشاعر الوالد وهو يفكر ويتأمل سلوك ابنته. ولقد اختار مالك حداد منذ الوهلة الأولى أن يكون "المنفى" هو المهاد الذي يبذر فيه رموزه، واختار أيضا "جيل المنفى" في الصغيرة المعبرة عن رؤيا المقاومة في رواية "التلميذ والدرس". يقدم إبداع مالك حداد فكرة عن الدرجة النوعية الجديدة التي ارتقت إليها الرواية الواقعية الجزائرية. وقد كسرت رواياته للعالم الداخلي للبطل المثقف، أو لذلك الإنسان الذي إن لم يكن مماثلا للمؤلف، فهو على أية حال

¹ - نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، ص 227.

شديد الشبه به روحيا. ولا يمكن التأكيد أن سيرة أبطال حداد تفتقر إلى الإحداث الدرامية بصفة خاصة، فكل واحد منهم يشعر بشكل أو بآخر بالآلام قاسية كموت القريب أو انهيار الآمال الشخصية. غير أن هذه الأحداث لا تلفت في حد ذاتها انتباه الكاتب، وهي فقط ضريبة حتمية، يدفعها للزمن كل واحد من مواكبيه في تلك السنوات، التي أصبح فيها مفهوم الجزائري - كما يقول الكاتب نفسه مرادفا للشقاء. إن موضوع مالك حداد هو الحياة الروحية للشخصية التي تنطوي على قدرة فائقة على معارضة هجوم القوى الهدامة والمعادية للإنسان.

وهذه القدرة لا تتجلى في أحداث خارجية باهرة تسترعي النظر، لأن بطل مالك حداد يحوز انتصاراته في الحياة اليومية غير المحسوسة، وهذا يحط بتاتا من مغزاه. وعادة ما تنكشف أمام بطل مالك حداد إمكانية سلوك الطريق السهل والرفاهية، غير أن البطل يرفض بحزم سلوك هذا الطريق. ويوافق تماما الأسلوب الإبداعي للكاتب محتوى مؤلفاته، التي يبرز فيها تعقد الحياة الاعتيادية وغير المحسوسة والبساطة الأزلية، كما يفتقد سرده إلى الزخرفة الأسلوبية والفصول المطول.

دارت روايات مالك حداد حول الثورة الجزائرية، وتلمسها من قريب ومن بعيد في دوامة من المشاعر والعواطف، فشخصية الكاتب والثورة تشكلان نبعا غزيرا لروايته، وحب الوطن يقوي بمثابة رباط الحياة، الذي يربط كافة الحوادث ببعضها بعضا يبرز حداد في روايته كاتب شعر أكثر منه كاتب قصة. فقد تأثر بالشاعر الفرنسي (أراغون)، وكذلك بالفيلسوف (برغسون) الذي ترك أثرا واضحا على أعماله¹.

أما كاتب ياسين فقد ولد في السمندو قرب قسنطينة عام 1929 وهو مؤلف رواية "نجمة" التي نشرت سنة 1956 والتي تعتبر أحسن شاهد على ميلاد الجزائر الجديدة، وقد استقبل النقاد والمفكرون الفرنسيون هذه الرواية بحفاوة بالغة كما اعتبروا مؤلفها أحسن من يمثل مدرسة إفريقية الشمالية الأدبية من غير الأوروبيين.

¹ - نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، ص 227.

فالكاتب ياسين يحظى بالاحترام النقاد الغربيين والعرب على حد سواء ومرد هذا الاحترام العمل الروائي المتميز "نجمة" وتتبع أهمية هذه الرواية من أنها تجسيد لرحلة العذاب التي خاضها كاتبها ووطنه جميعا. أنها تجسد شكلا ومضمونا كافة مراحل التطور، ومختلف أشكال التناقضات واتجاهات الصراع ونتائجه التي انتهت إليها الرحلة الدامية، لقد حققت درجة عالية من الدينامية في العمل الفني.

تبنى الكاتب ياسين موقفا متميزا في كتاباته، فهو يبحث عن الموطن الأم، مشخصا إياها في امرأة يسميها "نجمة" وتصبح الجزائر حقيقة مجسدة، وتكون "نجمة" بذلك روح البلاد التي تسري والحادثة التي أثرت تأثيرا بالغا على أعمال كاتب ياسين الأدبية هي مذابح سطيف¹.

¹ - نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، ص 228.

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون -
أنموذجا-

تمهيد

- 1- عتبة العنوان ودلالته.
- 2- الدوافع الإجتماعية في تشكيل خطاب مولود فرعون.
- 3- القضايا الإجتماعية في عمل الرواية "دروب الوعرة".
- 4- دلالة الأشياء والأماكن في رواية "الدروب الوعرة".
- 5- ملخص الرواية "الدروب الوعرة".

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون –أنموذجا-

تمهيد:

سنعتمد في هذا الفصل إلى إبراز التفاصيل التي اتبعها الكاتب في نقل الخصائص الاجتماعية والثقافية المميزة لبلاد القبائل في رواية "الدروب الوعرة"، وسنبداً دراستنا بدراسة العنوان، ودلالته ثم نتطرق إلى صلب الموضوع الذي كان يشمل الدوافع لاجتماعية في تشكيل خطاب مولود فرعون، والقضايا الاجتماعية التي اهتم بها الكاتب في عمل الرواية، وكيف رسم لنا صورة الأشياء، والأماكن ودلالاتها.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

1- عتبة العنوان ودلالاتها:

يعتبر العنوان أول عتبة يخطوها القارئ نحو النص، فهو مفتاح الكتاب والرواية، وبوابة العبور التي تثير فضوله. للغوص في الكتاب وثغراته، فالعنوان الذي يحمل الكثير من الدلالات، والإيحاءات يجذب القارئ مثل ما هو الحال في روايتنا "الدروب الوعرة"، التي احتوى عنوانها على العديد من الدلالات، التي يستطيع من خلالها-القارئ- أن يفهم محتوى الكتاب سطحيا، ويأخذ نظرة عامة حول ما تتضمنه الرواية.

تحمل هذه الرواية عنوانا يعبر عن الظروف المعيشية القاسية، والشاقة في قرية "ايغيل زمان" فهي ظروف تتأثر بواقع الحياة التي لا تقل قسوة عن تلك الدروب الشاقة، حيث تحكمها تقاليد القرية وأوامرها، والأمر الذي لا يدع مجالاً للحرية والراحة كون التقاليد في غالب الأحيان أهم من الدين في نظر المجتمع. فالأهم عندهم معتقدات وتراث آبائهم، يقول على لسان بطل الرواية "لقد وجدت نفسي كغيري من الناس، أمام دروب وعرة. ما نحن في الواقع إلا قوم فقراء في بلاد فقيرة جداً. واني لا أتساءل: هل كتب علينا أن نكون أشقياء في هذه الحياة؟ لماذا كانت جميع الدروب التي أراها هي دروب الشقاء؟"¹.

فعنوان الرواية جاء يمثل تلك الصعوبة، ومثلها بصعود الطريق أي بصعوبة المشي، والمضي قدما في طرق صاعدة. فهي تبرز ذلك العالم المنغلق الذي لم يمسه الزمن حيث ذكر الكاتب لفظة الوعرة "لقد علمتني التجربة بأن دروب الحياة كلها دروب وعرة فلماذا إذن أختار الطريق السهل الذي يؤدي إلى الهاوية؟"²، هذا يعني وجود حياة قاسية صعبة المضمون.

"Les chemins qui montent"، هو العنوان الأصلي لرواية الكاتب الجزائري مولود فرعون، الذي شرع في كتابتها سنة 1953، وأنها سنة 1956، نشرت لأول مرة عام 1957، وقد لاقت قبولا

¹ - مولود فرعون، الدروب الوعرة، تر: حنفي بن عيسى، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط5، 1990، ص 263-264.

² - المرجع نفسه، ص 260.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

واسعا من طرف الجمهور والنقاد، إن هذه الرواية التي ترجمت إلى الروسية وألمانية، والعربية تحمل عنوانا يعبر تمام التعبير، عن ظروف معيشة الفلاحين في قرية "ايغيل نزمان"¹.

جاء العنوان الأصلي في الرواية على شكل جملة فعلية مركبة من كلمتين: (chemins) و(montent) إلى جانب أداة التعريف (les)، تدل كلمة (Les chemins) على المسار الترابي، الطريق الذي أنشئ للانتقال من مكان إلى آخر المسار الممر، بينما كلمة (montent) فتعني الصعود، يرجع ترجمته الحرفية إلى العربية تكون على هذا النحو: "الدروب الصاعدة"².

وفي ترجمة أخرى "الدروب الشاقة" وفي ترجمة د. حنفي بن عيسى "الدروب الوعرة" فهي جملة اسمية معرفة ب: (ال) توحى بالثبات والاستقرار ف "الدروب الوعرة" توحى الى الطريق والسبيل والجهة، والدرب هو المسلك والنهج. وهو كل طريق يصل بين مكانين فيقال: "من سار على الدرب وصل". لو عدنا لتحليل العنوان نجد أنه مكون من لفظتي (الدروب) و(الوعرة)، فالدرب هو الطريق الذي يسير عليها، ويقال فلان سار على هذا الدرب أي أنه سلك طريق معين، أما بالنسبة للفظ (وعرة)، فتدل على الأمر الوعر الصعب على الإنسان تخطيه فلو عدنا إلى دلالة تلك الدروب والمسالك الموجودة في تلك القرية، فهي دروب صاعدة والصعود إليها شاق.

فنجد في الرواية عامر يقول "...سأذهب معك إلى أي مكان تشاء. ومهما كان الطريق الذي سنسلكه وعرا، فانه سيهون أمامنا..."³.

2-الدوافع الاجتماعية في تشكيل خطاب مولود فرعون:

استطاعت كثير من الأعمال الروائية أن تمس حالة البؤس الاجتماعي التي وصل إليها الشعب الجزائري، ولاسيما في فترة الاستعمار الفرنسي التي طحنت الشعب الجزائري، ومن بينهم مولود فرعون حيث عبرت أعماله الروائية عن وعي جديد في الكتابة، يتغلغل في أعماق الشعب. ويسجل نبض

¹ - كهينة حورية حفاظ، ترجمة العناصر الثقافية الاثنوغرافية في رواية مولود فرعون "نجل الفقير" و "الدروب الشاقة"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009/2008، ص 85.

² - بوعلام بطاطاش، سيميائية العنوان في روايات مولود فرعون، تيسميسيلت، العدد الثاني، 2021، ص 1376.

³ - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 16.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون -أنموذجا-

الحياة اليومية صور من خلالها معانات الفلاحين، والحرفيين في القرى والأرياف، وظلم السلطات واستغلال جهدهم وعرقهم، وهذه الأحداث المأساوية فجرت لجزائريون للقيام بثورة مسلحة، فسارت الرواية أمام هاته الأحداث لترسم انتمائها وهويتها العربية "...فمن أراد أن يعيش في هذه الحياة عليه أن يدخل معركة الصراع، من أجل البقاء حتى تصبح يداه خشنتين، وعليه أن يمشي حافي القدمين إلى أن تصير أقدامه قاسية كالجلد السميك، وأن يصبر على الجوع إلى أن تتوتر قسماات وجهه وتبرز عروقه ويصبح منظره مخيفا... وليكدح من أجل لقمة العيش إلى أن تحين ساعته الأخيرة، ولكن لا ينبغي أن تعجل تلك الساعة وليتركها تحين من تلقاء نفسها، لأن الحياة تستحق أن يعيشها الإنسان مهما كانت قاسية"¹.

إن مولود فرعون من الروائيين الجزائريين الذين رسموا معاناة الشعب الجزائري، فكانت روايته الدروب الوعرة من المواضيع التي اكتسبت حيويتها وشبابها، حيث عاجلت سلم التطور الاجتماعي، وصورت البيئة تصويرا دقيقا التقط فيها أدق جزئياتها ترتيبا عضويا لتصبح الشخصية حية في الرواية، حيث صور لنا شخصية ذهبية التي كانت تعاني من البيئة التي تعيش فيها، ومن مجتمعها العنصري الظالم حيث لم تستطع أن تحقق أبسط أحلامها، وأمنياتها "إنها فتاة شابة ساذجة، قادرة على تصوير أحلام جميلة تشغل بال الأطفال ولكنها عاجزة عن تنفيس ما يعتلج في نفسها من حزن عميق و ثورة عازمة"².

حيث كان المجتمع يراها فقيرة مسيحية ليس لها حق في أي شيء، حتى الزواج على الرغم من جمالها، وطيبة قلبها، فكانوا يشتهونها كفتاة للتسلية والمتعة، لا كزوجة مثالية صالحة "إن أسرة ذهبية أفقر الأسر في القرية ولم يكن أحد يقيم لأفرادها أي اعتبار"³.

¹ - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 226.

² - المرجع نفسه، ص 10.

³ - المرجع نفسه، ص 29.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

"...إن هي إلا نصرانية ، وإن هي إلا إمرة عديمة الشرف لقد خرجت من القرية ذات يوم لسبب لا نعرفه، وها هي ذي قد عادت اليوم لغرض في نفسها لا يعلمه إلا الله"¹.

إن الإنتاج هو نتاج المجتمع ومثلما تطور هذا الأخير يتطور العمل الروائي، إذن ليس سر إن أطلقت على السبعينات عقد الرواة الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، بحيث شهدت هذه الفترة ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر على الإطلاق من إنجازات سواء اجتماعية، اقتصادية، سياسية، والثقافية فكانت الرواية تجسيدا لذلك كله.

فكان للنص الروائي المكتوب بالفرنسية في عقد الخمسينات نصيبه من هذه المضامين، فرواية مولود فرعون "الدروب الوعرة" نسقا مخالفا من حياة الجزائري، يبرز فيها ذلك العالم المنغلق، و هي رواية عاطفية نجدها تصور حيرة وإربتك جيل نضج².

عبرت رواية "الدروب الوعرة" عن صورة المأساوية التي تحببت فيها الأسر الجزائرية يصف فيها حياة البسطاء في كفاحهم اليومي وتطلعاتهم المستقبلية، حيث قدم لنا مولود فرعون لوحة عن المجتمع القبائلي، ليتعرف القارئ على البيئة الجزائرية من خلال معاناة العائلات ومن أولى صور المعاناة التي رصدها هي صورة الحرمان التي تعانيها الأسرة القبائلية.

يعرض مولود فرعون أيضا صورة الجهل، والتخلف التي كان يعاني منها الشعب الجزائري إبان الاحتلال، مما أدى إلى انتشار الانحرافات والعقائد الباطلة التي عمل الاستعمار، جاهدا على نشرها في المجتمع مثل : الدجل والشعوذة، والتصديق بالدرأويش والإيمان بأولياء الله الصالحين "...ولكنهم يحلفون بالأولياء الصالحين ولا تقل نساؤهم عن غيرهم في الإيمان بالخرافات والثقة التامة بالعجائز وزيارة الدراويش ليكشفوا لهن عن الغيب"³.

¹ - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 55.

² - نبراج سفيطلا، مولود فرعون وإبداعاته، مجلة التبيين، الجمعية الجاهظية الثقافية، الجزائر، العدد 08، 1994، ص 16.

³ - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 28.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

كانت الرواية بصفة خاصة أحد نتائج الاستعمار الفرنسي، وذلك عن طريق اتصال الثقافة الجزائرية بالثقافة الفرنسية، فقد اتخذ الروائي مولود فرعون اللغة الفرنسية للتعبير عن الأوضاع المتردية في المجتمع الجزائري من جراء الاحتلال، حيث لم يكن في حوزتهم أداة غيرها.

فالأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يواجه مشكلة، ألا وهي مشكلة التعبير التي من وجهة نظرنا ذات وجهين، فهي من جهة قومية ومن جهة أخرى فنية : هي قومية تواجهها على المستوى الوطني، إذ أن كل مواطن يتساءل بينه وبين نفسه بأي لغة يجب أن يكتب هذا الأدب؟ هل يكتب بلغة الشعب التي كانت ولا زالت وستبقى دائما لغة الضاد؟ أم يكتب بلغة الغرب أو الأجنبي (لغة دخيلة) فرضتها علينا الظروف الاستعمارية، فلم تؤثر هذه الأخيرة على خلق ظاهرة بروز كتاب جزائريين يكتبون عن مشكلات وطنهم بلغة دخيلة (لغة المستعمر)¹، أمثال مولود فرعون الذي استخدم اللغة الفرنسية لغة لكتبه، ويمكن القول أنه ليس من أولئك الذين اعتقدوا بأن اللغة الفرنسية هي حتما لغة الاستعباد والاستعمار الثقافي، بل رأى فيها اللغة التي سمحت له بفهم الآخر وتفسير نفسه وقول اشمئزاه، وقرفه لأكبر عدد ممكن من المتلقين، وبالتالي بلوغ أرضية الآخر بواسطة هذا السلاح المشترك، لقد قال مولود فرعون عن ذلك: "اللغة الفرنسية هي اللغة التي تمكني من الحوار مع الآخر والرد عليه ، لقد كتبت بالفرنسية لأنني لم أجد في كتب أصدقائي حديث عن الجزائريين الأهالي"²، فاستطاع أن يرصد مختلف مظاهر للمجتمع بجوانبه الاجتماعية والسياسية والثقافية، والاقتصادية حيث نالت هذه الرواية اهتمام كبير من قبل الدارسين.

إن روايات مولود فرعون من أكثر الأنماط الأدبية التي تستحضر الواقع، بحيث اتخذت من واقع الشعوب مساحة للتعبير عن الآمال والطموحات.

¹ - زوليخة ندوقنارو، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، العدد 15، 2018، ص 86.

² - ليلي تيتة، مولود فرعون والثورة الجزائرية من خلال كتابه Les Jornale مجلة منتدى الأساتذة، العدد 01، 2020، ص 60.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

وكذلك الواقع الاجتماعي والمعيشي للفرد الجزائري، الذي عانى من ويلات الحرب والاستعمار" فنحن لا نكتب في حالة سلم وحرية وتشيد نحن لا نكتب بلذة في حالة عنوان واكتمال، إننا نرسم كلماتنا فوق خطوط زلزالية ونكتب بالدم الأسود للجراح والكواليس واللغة، نحن نكتب بعطش وجوع الروح بالسقم، والعاهات باختصار الكرامة وبالدهشة لا محدودة أمام الدمار الشامل حولنا وحتى فينا"¹.

تعرض مولود فرعون إلى كل الظروف الصعبة والقاسية، بسبب ما أحدثه الاستعمار، فالأديب باعتباره من الشعب لا بد له أن يقاوم بسلاح القلم الذي يملكه، والذي به يتم تصوير الواقع بأسلوب فني راقى، يقوم على متطلبات الصورة الروائية، وكل هذه الظروف، والأوضاع السائدة فجرت ملكة الكتابة، والتأليف لدى المبدعين من الأدباء والروائيين بصفة عامة. ومن مولود فرعون بصفة خاصة.

3- القضايا الاجتماعية في عمل الرواية "الدروب الوعرة":

تحدث مولود فرعون في روايته "الدروب الوعرة" عن الديانة المسيحية التي كانت في بلاد القبائل في قرية "آيت واضو" حيث ذكر "ذهبية" التي كانت مسيحية في تلك المنطقة "فتاة محرومة لم يبق لها وسيلة في الحياة سوى حمل الحقد والضعينة للناس، لماذا جعلت منها الأقدار فتاة مسيحية في قرية آيت واضو"²، حيث أن المسيحيون يشكلون أقلية صغيرة في المنطقة.

وكان يعيش معهم فئة من المسلمين "نعم كلهم مسلمون في جميع أنحاء المنطقة ماعدا"آيت واضوا"، وبعض القرى الأخرى حيث يشكل المسيحيين أقلية صغيرة... بل إن المسيحيين في منطقة القبائل لا يعتد بهم ولا يحسب لهم حساب"³، عرف المسلمون والمسيحيون من أهل القبائل اختلاطا عاديا فيما بينهم وعلاقتهم علاقة تصارعية في معاملاتهم اليومية، كان المتداول أن يعامل الجزائري المسيحي معاملة سيئة وقاسية، فبعد عودة ذهبية وأمها"

¹ - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي "نشأته وتطوره وقضاياها"، ص 72.

² - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 23.

³ - المرجع نفسه، ص 23-24.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون -أمودجا-

مالحة" إلى قرية "إغيل زمان" نجد أنهما تعرضت إلى مختلف أشكال الإهانة، والإذلال ابتداء من لحظة استقبالهما في القرية "فلم يعد من الممكن لها ان تتباهى بدينها المسيحي وذلك المحيط من المارقين الذين يسخرون من اعتقادها بتجسيد المسيح، ويستهنون بكل ما هو في نظرها أعز ما في الحياة: الدين والمسيح"¹.

إن الإنسان في نظر مولود فرعون كائن مقسم إلى ظاهر، وباطن فمن شيوخ القرية "سعيد آيت سليمان" هذا الشيخ الذي يتظاهر بالورع والتدين ويناديه جميع المقربين منه بابا سعيد"²، تقديرا واحتراما، وقد اكتسب الدهاء والتجارب من السنوات الطويلة التي قضاها في دراسة نفسية البشر، لهذا السبب فلا احد من القرية يقدر عليه. إن حقيقة أمره فقد عرف بقلة الوفاء فهو مخادع مكر معتدي على حقوق أهله "ومن المعروف عنه أنه قليل الوفاء بالعهد ولم يكتفي خلال حياته الطويلة بالدسائس. ونكث العهود بل لم يتورع من أن يسطو على أموال أقاربه وأصدقائه"³.

وتحدث عن قضية الخيانة الزوجية التي كانت من عادات الشيخ "سعيد آيت سليمان" الذي كان يخون زوجته مع جميع النساء يختار الضعيفات منهن اللواتي لا مدافع عنهن "وزوجها من جهته، قد اعتاد منذ عهد بعيد أن يخونها مع جميع النساء الفقيرات سواء من الأرامل، أو مع المتسولات والصغيرات من اليتامى"⁴، ولم يكن سعيد آيت سليمان الوحيد الذي يظهر عكس ما يخفي بل العديد من الشيوخ ونفاقهم أشد وأقوى، لأنهم تجردوا من معاني الشرف الحقيقي. وأخوف ما يخيفهم، هو أن يفتضح أمرهم ولهذا يلجأ بعض المتضررين إلى الدفاع عن أنفسهم، بفضح تصرفاتهم الشاذة، وهذا ما قالته مالحة للمدام عندما تعرضت ابنتها ذهبية للاعتداء من طرف ابن آيت سعيد. "مقران" "صدقيني يا مدام فأنا أعرف أولئك الشيوخ المحترمين الذين يتصرفون

¹ - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 34.

² - المرجع نفسه، ص 50.

³ - المرجع نفسه، ص 50.

⁴ - المرجع نفسه، ص 51.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

اجتماعات القرية (ويحلون المشاكل العويصة)، أولئك الشيوخ الذين يسمونهم (رجال الخير) صدقيني يا مدام إذا قلت لك بأني اعرفهم، وأشعر بالاشمئزاز منهم. لقد رأيت في عيونهم جميعا الرغبة الدنيئة في أن يضاجعوني خفية. وأن يشبع شهوتهم على غير علم من الناس لأني في نظرهم لا أصلح إلا لذلك، ومتى كانت النصرانية تستحق أي اعتبار؟¹.

وكان صفة النفاق بارزة عندهم الفرق بين الظاهر والجوهر يكشف أن النفاق كان ظاهرة في تلك المنطقة إذ كان أسلوب النفاق عندهم هو أن الغاية تبرر الوسيلة فكأن النفاق تحول إلى اللعبة المفضلة للجميع وهذا ما قالته المألحة "غير أن نفاقهم أشد وأقوى من شهواتهم، وأخوف ما يخيفهم هو أن يفتضح أمرهم ولذلك قررت أن أفضحهم حتى أتخلص منهم"². وكانت هناك عائلات كاملة ورث أفرادها أسوء الصفات كالسرقة، وشهادة الزور، والخيانة ولا يكون الابن إلا صورة ثانية لأبيه. وجده مثلما حدث لمقران، يقول متحدثا عنه: "فقد سولت له نفسه أن يستعمل هذه الطريقة الخسيسة وأن يخلف من ورائه أثار تدل على مروره ليلا بالدار حتى يرهيني ويجعلني أعتقد بأنه شخص خطير، وهذه عادة قديمة درج عليها كل من ينتمي إلى بيت آيت سليمان. فهم جبناء، ونحن نعرفهم من عهد بعيد، ومنهم من يتعاطى السرقة ليلا ومنهم شهود الزور ومنهم الجواسيس... وما من أحد منهم إلا وتجده متصفا بإحدى هذه الصفات الذميمة، وليس مقران سوى أحدهم"³.

كما عالج لنا الكاتب قضية الحب حيث يعلمنا أن الحب في بلاد القبائل ليس مطلوبا عند الفتاة المقبلة على الزواج فهذا الإحساس الخاص يبني على الازدواجية في المشاعر فالمرأة تعيش هذه الحالة بخيالها بعيدا عن الحقيقة، وإن الحب والمودة بين شخصين لا ينتج عنهما السعادة دائما، ربما تحقق ذلك في البداية ولكن الأمر يتغير بمرور الوقت "سأقول لها لا يكفي يا عزيزتي أن تكون بيننا

¹ - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 55.

² - المرجع نفسه، ص 56.

³ - المرجع نفسه، ص 217.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

محبة ومودة لكي نعيش سعداء بل على العكس يمكن لهذه المحبة أن تجعلنا أشقياء"¹، فكانت نظرته (عامر) إلى الحب نظرة تشاؤمية حيث قال لذهبية وهو يحاورها "انك با عزيزتي ستدبلين بسرعة وتصبحين قبيحة الصورة كغيرك من النساء، أما أنا فسأصبح كغيري من الناس، شرس الطباع متعكر المزاج وسوف أعاملك معاملة قاسية، وفي آخر المطاف، عندما تنقضي حياتنا كما تنقضي مدة الحكم على المجرم، سنخلف من بعدنا أطفالا صغارا فتدفع بهم الشقاء والعذاب"²، ويواصل مولود فرعون تأكيد فكرته إذ يرى أن الزواج سلوك لا منطقي ومتهور، يعكس حالة التحبط التي يعيشها المجتمع، فالإقدام على هذه الخطوة في قرية "إيغيل نزمان" يفتقد إلى العقل والتعقل. فجميع أهالي هذه القرية يتحلون فعلا هزليا، يسمى الزواج دون التفكير في العواقب ولا يختلف الطلاق إذ تطلعت النساء في لحظات غضب، أو فترات الطيش، دون التفكير في مستقبل الأطفال بل يهمل هؤلاء بحجة الفقر والحاجة، وتتكرر المهزلة بتوالي الأجيال³.

إن العلاقة بين الرجل والمرأة في بلاد القبائل، هي علاقة ضبابية وشائكة يميزها التجاذب، والتنافر في الآن نفسه ويطبعاها الشك المتبادل فالعديد من النساء يفتقدن الطمأنينة والثقة في كل الرجال ترى أنهم جنباء الهيئة "... وتقول في نفسها: ما أنا في نظر المعجبين بي إلا فتاة للمتعة، إنهم لا يفكرون إلا في تشويه سمعتي، أنا أحقرهم جميعا لأنهم لا يختلفون عن مقران... كلهم جنباء"⁴، وكذلك نظرة الرجل تجاه المرأة غير مبنية على الثقة وإن هناك انقسام بين الرجل والمرأة فالمجتمع القبائلي يفصل بين الذكور وإناث، فهو مجتمع رجالي، فمن يحقق في واقع الأسر داخل البيوت ويرى الفارق بين الولد والبنت منذ الولادة إلى مرحلة الزواج فالمرأة في غالب الأحيان لا قيمة لها عند الرجل فهي مجرد متاع لا تختلف عن الأشياء المادية.

¹ - المرجع نفسه، ص 248.

² - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 251.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 63-64.

⁴ - المرجع نفسه، ص 61.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - نموذجاً -

عرض مولود فرعون مشكلة الفقر، والفقراء باعتبار أسرة ذهبية التي كانت من أفقر الأسر. "إن أسرة ذهبية أفقر الأسر في القرية ..."¹. حيث أن بعض الفقراء ينظرون إلى المال كغاية وليس وسيلة، فهناك من لا هم له إلا جمع الأموال. "وصارت تكرهه من صميم قلبها كل من همه الوحيد جمع الأموال، لأن الناس من حولها لا يتحدثون إلا عن الأموال والأرزاق، وخاصة أفراد أسرته التي كانت معوزة و فقيرة"².

وينظرون إلى الغنى والثروة ولا يهمهم طريقة الحصول عليها، فهم يتحدثون عن ممن ذهب إلى فرنسا وأصبح يملك الملايين والبنائيات والمقاهي، والمطاعم والمحلات التجارية "إن الناس في القرية يتحدثون عن فلان أو فلان ممن ذهب إلى فرنسا فأثرى فيها ثراء كبيراً وأصبح يتعامل بالملايين ويملك في باريس أو مدينة ليل، البنائيات والمقاهي والمطاعم، والمحلات التجارية"³.

وهناك طريقة عجيبة يختار لها الأسماء في القرى القبائلية، فحينما ترزق عائلة بمولود جديد لا يفكران الوالدان في البحث عن اسم جميل يتباهى به الطفل بين أقرانه. بل يختار له اسم لأحد أفراد الأسرة المتوفى كالجدة مثلاً أو أحد، الأعمام أو العمات فعامر سمي باسم أبوه (عامر الأب) "... و بما أن أبي كان قد توفي حينما ولدت فقد أعطيت اسمه لأكون خلفه في هذه الحياة"⁴.

إن أغلب شباب المنطقة كانوا يفكرون في الهجرة وذلك بسبب الحياة القاسية ومن قيود القبيلة فقد جاء على لسان عامر في حوار داخلي: "... سأتححر من كل قيد لأنني على كل حال لا أَرْضى بالقيود ولا يجدر بي أن أتكل في شؤوني على هؤلاء الناس. وإذ سألني شخص: من أنت؟ سأجيبه: أنا إنسان، وقال لي: من أين أتيت؟ سأرد عليه: وفيم يهملك أن تعرف ذلك؟ أما أبناء البلاد فسأهرب منهم وأتجنب لقاءهم لأنهم تافهون أينما كانوا ... ومهما تظاهرت بالصبر فأني فالواقع أفكر في الرحيل كما يفكر فيه جميع الشبان، والعبث أن أماطل، بل

¹ - المرجع نفسه، ص 29.

² - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 30.

³ - المرجع نفسه، ص 229.

⁴ - المرجع نفسه، ص 28.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون -أنموذجا-

يجدر بي أن أقطع البحر في الحين من أن أنتظر أحدا...¹، فالقرية بالنسبة لهم مكان تيسر... لنرحل عن هذه الديار، ولنغادر هذا المكان التيسر إلى الأبد، ولننتقل لبلد آخر نعاشر فيه من نشاء، فلا يدري أحد أين كنا، ولا من أين جئنا"²، ومهما تعددت أسباب الهجرة بين المادية أو المعنوية، تبقى الأسباب تافهة بالنسبة لمولود فرعون لا تقنعه، وليست دافعا للهروب من البلاد حيث تقول ذهبية عن الهجرة "أن هؤلاء الأغبياء يهاجرون إلى فرنسا ويعيشون هناك حياة كلها أتعاب ومحن، ثم تسمعهم يدعون بأن الفرنسيين هم السبب في بؤسهم وشقائهم، في أسخف دعواهم والعجيب أن عامر كان يوافق هؤلاء الكسالى فالرأي"³.

4- دلالة الأشياء والأماكن في رواية "الدروب الوعرة":

تكتسي الأشياء أهمية بالغة في الرواية، إذ أنها تساعد على الإمساك بما هو جوهري فيها، ولها مجموعة من القيم والدلالات المتصلة والمعبرة عنها.

● **القرية إغيل نزمان**: استطعنا من خلال قراءتنا الرواية أن قرية إغيل نزمان هي قرية قبائلية صغيرة يعيش فيها أناس قليلين فهي تحتوي على أشجار الزيتون وهي دلالة على تلك المنطقة مشهورة بها، وبأشجار التين فهم يتميزون بزيت الزيتون وكذلك يمتلكون البقر والغابات الكثيفة ذات التربة المليئة بالحصى، والأشجار "وشعرت برغبة جامحة لزيارتها والتمتع بخيرتها، والمشى فوق ترابها، واستنشاق هوائها الساخن والتعرض لأشعة شمسها المحرقة، والسير في دروبها المغبرة، والتهام فواكهها اللذيذة، ومغازلة بناتها السمر"⁴.

وجبال جرجرة الشاخنة الثابتة، وقممها المكسوة بالثلوج التي يحيط بها الضباب، وتكاد تصل إلى السماء، وتترامى حولها هضاب زرقاء تغطيها أشجار نخلية، ترتبتها شاحبة "حينما رأيت قمم

¹ - المرجع نفسه، ص 227-228.

² - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 16.

³ - المرجع نفسه، ص 47-48.

⁴ - المرجع نفسه، ص 161.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

جبال جرجرة الشامخة ترسم في الصباح الباكر على الأفق المحفوف بالضباب، ولاحت مدينة الجزائر البيضاء كأنها جبل من الرخام"¹، "جبال جرجرة كتلة متراسة ثابتة الأركان.. قممها المكسوة بالثلوج، المحفوفة بالضباب، تختفي هناك في عنان السماء. إنها أسوار منيعة تفصلنا عن الدنيا وما فيها... وحول تلك القمم ترتفع الهضاب المغطاة بالأشجار القصيرة الدكناء. وأحول بصري فأرى من تحت الأعشاب القليلة تربة قاحلة، وأرضا شاحبة بيضاء أو صفراء، حسب تركيبها: من الرمل أو الشيست.. أرضا يعيش فيها رجال نحيف الأبدان وتكثر فيها الذئاب والعنزات العجفاء"².

● الأوراق: دلالة على مذكراته حيث كان يدون كل ما يحدث في يومياته لكي يكون قدوة للأجيال القادمة.

● النادي والمقهى: هو مكان مغلق يلجأ إليه الأشخاص وأبناء القبيلة بمختلف فئاتهم اجتماعية، لتمضية الوقت

والترفيه عن أنفسهم، يتبادلون أطراف الحديث بينهم، ويلعبون فيها الأوراق، والدومينو، وكل هذا دال على سير الحياة الاجتماعية في وضع عادي "كنت أطوف في المقاهي لجمع أعقاب السجائر والمشاركة في الألعاب التي ما لبث أن مهتت فيها، مثل الدومينو، الروندا، ولعبة البولوت"³.

● الأحجار: دلالة على قدم المنطقة واشتهارها بالحصى، والحجارة "... وبقيمون في الغابات الكثيفة ذات التربة المليئة بالحصى والحجارة"⁴.

¹ - المرجع نفسه، ص 162.

² - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 236.

³ - المرجع نفسه، ص 153.

⁴ - المرجع نفسه، ص 45.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

● **الباخرة والقطار:** كانت الوسيلة الوحيدة للتنقل عندهم، والذهاب إلى فرنسا التي كانت حلم كل شباب تلك المنطقة وهي دلالة على السفر "... وهكذا أخذت القطار إلى مرسيليا، ومنها ركبت على متن الباخرة إلى الجزائر"¹.

● **المقبرة:** القبر هو المثوى الأخير الذي ينام فيه الإنسان نومه الأبدي، والمكان الأخير الذي يؤول إليه كل من ذاق الموت، والسكينة التامة، والصمت المطلق، والقبر هو مكان واسع لا يضيق، يتوحد فيه المكان، والزمان فيتحولان لشيء واحد. فهو مكان لا منتهى يضم كل أنماط المكان ودلالاتها، حيث ذكر الراوي المقبرة في الرواية².

بعد وفاة أمه (عامر)، "وأنا الآن راجع من مقبرة تازروت انتهى كل شيء ... دفناها تحت وها أنا أعود إلى الدار..."³، فنجد "عامر" يتكلم عن الجنازة "... فحينما اقلع موقع موكب الجنازة، وصرنا في الطريق، كنت في آخر الموكب تقريبا، وسمعت الناس يتبادلون مختلف الأحاديث، بدون مراعاة لشعوري، ولم يكن يردد الشهادة (لا إله إلا الله) إلا حملة النعش بصوت منخفض لا يكاد يسمع"⁴، "ولم يكن أحد، مراعيًا ظروفها التي أنا فيها ولم يكن أحد من أهل القرية سند لي في تلك اللحظة اللثيمة"⁵، ذلك تحدث عن عامر في يومياته أثناء زيارة قبر أمه عن الحرق التي في قلبه وعن ألم فراق الأم "والحقيقة أن كل ما أريده هو أن أكتب، وأتحدث عن كل شيء، عن حياتي وعن حياتها، وأن أقول للناس بأن أمي، وإن غابت عن الأنظار، إلا أنها لا تزال هنا تحوم من حولي كأنها قد حملت في بدني لكي تتحدث بلساني، وتحثني أن

¹ - المرجع نفسه، ص 161.

² - محمد عيد الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص 28.

³ - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 132.

⁴ - المرجع نفسه، ص 134.

⁵ - المرجع نفسه، ص 135.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

أكتب اليوميات، لا بد إذن من أن أقول كل شيء، كل شيء بدون استثناء، ولكن لماذا لم تعد الكلمات تتوارد إلى ذهني؟ ولماذا أحس برأسي يكاد ينفجر؟...¹.

● ساقية الماء "العين": ذكر الراوي العين في الرواية التي كان يلتقي فيه نساء المنطقة، ويتبادلون فيها أطراف الحديث

ويتحدثن عن أمور نساء القرية، أخبارهم، وعن أحوال القرية، فالراوي يصف لنا ذهبية كيف كانت تذهب إلى العين فهو يقول: "يا ذهبية، خذي جرتك، نحن في انتظارك، ولتعلمي أن النادي غاص الناس؛ دقيقة واحدة يا أخوتي، أنا لاحقة بكن... لا تكاد تقول ذلك حتى تمسك الجرة في عجلة وتلحق بالمجموعة..."²، كما كانت ساقية الماء بالنسبة لهم مورد رزقهم "ولذلك صارت تعرض خدماتها على كل من يحتاج إليها حتى تحصل على مورد رزق..."³.

وعند انتقالها (مالحة) من آيت واضو إلى قرية إيغيل نزمان هي وابنتها "ذهبية"، صارت تشتغل كساقية عند شيخ القرية "سعيد آيت سليمان" "...وممن اشتغلت عندهم، سعيد آيت سليمان، وقد استخدمها كساقية فاتفقت معها على أن تحمل إلى داره يوميا ثلاث جرار من الماء، وذلك لقاء مبلغ ألف فرنك شهريا. فإذا أقامت بذلك فلها أن تنصرف إلى شؤونها الخاصة، فقلبت مالحة..."⁴.

● الكنيسة: مكان معبد المسحيين، يلجأ إليه للعبادة و أداء صلاتهم "...ولقد تعودت أن تخرج من الكنيسة مشرقة الوجه وأن تذهب إلى الدار لتواصل صلاتها"⁵، ولكن ليس هذا فقط، بل يتعدى هذا الأمر "العبادة" حيث كانوا يقيمون فيه الفواحش، ويتزوجون فيه، ويغازلون البنات ويستغلون كل الفرص لتلبية رغباتهم "إنهم يشعرون في أيام الأحد هذه أنهم يختلفون بعض

¹ - المرجع نفسه، ص 143.

² - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 34.

³ - المرجع نفسه، ص 50.

⁴ - المرجع نفسه، ص 50.

⁵ - المرجع نفسه، ص 30.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون -أنموذجا-

الشيء عن بقية الناس، وأنهم إلى حد ما أعلى مرتبة وأكثر حرية، لأن الحواجز التقليدية بين الرجال والنساء، وبين الكبار والصغار، لا تلبث أن تزول في معبد الإله، وإذا كان بعض الشبان يغتنمون تلك الفرصة لمغازلة البنات، فإن هذا الأمر، يتم بمعرفة الخوري ورضاه، وكأنه بذلك يريد أن يشعر المسيحيين أن الله قد خصهم دون سائر المسلمين، ومن أهالي القرية بامتياز المغازلة والحب... وبالفعل فهم لا يدعون الفرصة تفوتهم، لأنهم يتزاجون فيما بينهم فقط"¹. فالكنيسة كانت تدل على وجود المسحيين في تلك المنطقة، ومن بينهم "ذهبية" على الرغم من أنها مسيحية لكنها لا تحب المسحيين لأنهم في نظرها ليس مخلصين في اعتقادهم حيث نجدها تقول: "... وذهبية لا تحب المسيحيين من قريتها، لأنهم في نظرها ليسوا مخلصين في اعتقادهم، فالكثير منهم اعتنقوا المسيحية من أجل غرض في أنفسهم لأغراض المادية هي التي دفعت جميعا في البداية للاعتناق المسيحية، وأولادهم مسيحيون بالوراثة"².

● فرنسا: هو المكان الذي يلجأ إليه الناس، فهناك من يكون ذاهب من أجل العمل، وهناك من يكون ذهب من أجل السياحة والسفر، ولكن في الرواية نجد أن سكان قرية إيغيل نزمان يسافرون من أجل أوضاع المزرية، التي يعيشونها في القرية، والعادات والتقاليد الصارمة حيث أن كل شبان القرية يؤمنون بنفس الفكرة "والحقيقة أنه يوجد من بين هؤلاء الشبان من يفكر في أمر جديا ويحاول أن يحسن أحواله، وأن يحقق إلى حد ما مطامحه، ومن بينهم ذلك الشاب من إيغيل نزمان الذي عزم على أن يتحرر من جميع القيود، لأن هذا الحل في نظره هو الحل المنطقي الوحيد"³.

فكلهم كانوا يطمحون في العيش في رفاهية، وإستقرار، وحرية "... فبلادنا ليس فيها إلا الشقاء والذل"⁴ وها هو عامر يقول لذهبية: "أنا أملك في مغادرة البلاد رائع، فعليك إذن أن

¹ - المرجع نفسه، ص 35.

² - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 26.

³ - المرجع نفسه، ص 61.

⁴ - المرجع نفسه، ص 158.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون -أمودجا-

تبيع ما سلك من متاع، ثم نرحل معا... لنرحل عن هذه الديار، ولنغادر هذا المكان التعيس إلى الأبد ولنتقل إلى بلد آخر نعاشر فيه من نشاء، فلا يدري أحد أين كنا، ولا من أين جئنا¹.

ولكن سيظلون هناك غرباء، وسيعدون يوما لا محالة إلى جحيم بلادكم، ونحن أول من ستفكرون فيهم عند وصولكم إلى بلاد الغربية إننا نعلم أنكم تتعذبون، وستعانون كثيرا، ولكن إذا كتب لكم أن تجدوا ضالتكم وتعيشون سعادة، فسوف تنسوننا بكل تأكيد، واعلموا أن نحن المعذبون في ارض سنحتقركم لأنكم أنتم أيضا ستكونون معذبين مثلنا في ديار الغربية، ولن تتمكنوا من الهروب قدر عليكم أنهم سوف يتعاملون من طرف الفرنسيين بالهمجية والجهل. "لا تظنوا أننا أغبياء، بل نحن عارفون... نحن نعرف أنكم تغادروا بلاد الجوع وتذهبون إلى جنة الدنيا .. لكنكم ستظلون في تلك الجنة غرباء، وستضطرون للعودة إلى الجحيم بلادكم وحينها تحطون الرحال وهناك ستفكرون فينا في بداية أمر ولكن إذا قدر لكم أن تكونوا سعادة فسوف تنسوننا بكل تأكيد"² "ارحلوا عن هذه البلاد إذا شئتم فنحن نغيظكم على ما تفعلون ولكن لن يكون مصيركم هناك سوى الكفاح المرير معيشة الضنك والتعاسة... كونوا على يقين أننا نحن _المعذبون في الأرض_ نحتقركم لأنكم أنتم أيضا ستكونون في تلك الأرض معذبين و إن كنتم تحاولون عبثا أن تنهربوا من مصيركم المحتوم"³، ومن هنا أدركوا أن لهم وطن و أنهم ظلوا أجنبيين في غير وطنهم، ومنذ ذلك اليوم تعجلوا بالعودة إلى بلادهم لما كانوا، يعيشون فيه فهاهم إلى أن ركبوا القطار إلى مرسيليا، ثم سافرت بهم الباخرة إلى الجزائر، وخيل لهم بأن أهل مرسيليا كانوا يقولون بلطف وبلهجة ساخرة (أنت عائد إلى بلادكم يا أيها المسلمون) فاعلموا أن الجزائر بلادنا أجمل من فرنسا (مرسيليا) إن الوصف الدقيق للأماكن والأشياء يوحي إلى الحالة الاجتماعية والاضطرابات النفسية التي تلزم المجتمع على التفكير في المخرج الملائم، للتخلص من الشوائب التي فرضها كما هي

¹ - المرجع نفسه، ص 16.

² - مولود فرعون، الدروب الوعرة، ص 237.

³ - المرجع نفسه، ص 237.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

انعكاس لنمط الحالة المعيشية للعائلات الجزائرية ونوعية العمران السكني في بلاد القبائل خاصة الذي يفضله الفرد.

لم يتجاوز مولود فرعون بعض الجزئيات، إذ ما تحدث عن بيوت الأشخاص التي يريد من ورائها توصيف الحالة الاجتماعية للأفراد

والجماعات، وتعيين الحالات النفسية التي تخلفها تلك الأمكنة على حياة الأشخاص، التي لا تختلف عن بقية أفراد المجتمع، بل تحمل مشاعره وترجم وجدانه اتجاه أوضاع العسيرة التي تنقل كاهل الإنسان.

5-ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية في منطقة القبائل، وبالضبط في قرية "إيغيل نزمان" حيث تحدث على البطلين عامر، وذهبية كانت ذهبية تدين الديانة المسيحية، وكانت مقيمة مع المسلمين، وعامر الفتى المهاجر إلى فرنسا، وبعد عودته منها، يقع منها في حب الأخر، ولكن القدر تدخل وفارق بينهما بموت عامر، وهي ليست مجرد قصة حب، وغيرة وانتقام، بل هي صراع بين الشباب والشيوخ، بين الحضارة الفرنسية والجزائرية.

يعتبر رحيل ننه مألحة وابنتها ذهبية من قرية "آيت واضو" إلى قرية "إيغيل نزمان" بمثابة محرك للأحداث، فنه مألحة بعد أن قام أحد رعاة باغتصابها لم تجد حلا لمسلكتها إلا الزواج برجل مسيحي، ولكن بعد وفاة زوجها تذكرت بأن لها أهلا فقررت العودة إلى أهلها في قرية آيت واضوا، حيث عاشت حياة قاسية، وصعبة كما حرمت من حنان الأب، وقد عاشت بجوار شخص ظنت أنه والدها ولكنه لم يكن كذلك فقد أهانها ذات يوم عندها كانت مريضة حيث صرخ في وجهها بأنه ليس أبها وإنما فتاة لقيطة وكان يدعوا لها بالموت ليرتاح منها، هذه المعاملة القاسية ولدت في قلبها جرحا عميقا وألما من الصعب أن يشفى.

وأمام كل هذه المعاناة لم تجد ذهبية ملجأ سوى المسيح والكنسية التي كانت تقضي فيها معظم وقتها، انتقلت ذهبية وأمها مألحة إلى قرية (إيغيل نزمان) للعيش فيها، التي يدين أهلها بديانة الإسلام بعد وفاة والدها، وكانت في تلك الفترة كل الفتيات واقعات بحب عامر الشاب المثقف الوسيم من أم فرنسية الأصل، كان يتيم الأب وهو لابن الوحيد لأمه، كان هناك صراع كبير بينه وبين أهل القرية وذلك بسبب اختلاف عقائدهم، ونفس الشيء لذهبية التي كانت منبوذة من طرفهم كونها مسيحية، أقامت ذهبية علاقات كبيرة مع فتيات كثيرا وأصبحت تشغل بأمور الحياة.

ذهبية فتاة جميلة تملك من الصفات الجميلة والجسمانية ما يميزها عن غيرها، وهذا جعلها محل إعجاب الكثير شباب في القرية عند انتقاهم هي وأمها مألحة إلى قرية "إيغيل نزمان" شرعت أمها في العمل، ومنعتها من الشغل والاقتراب إلى مكان عملها لكن في يوم من الأيام ذهبت ذهبية إلى عمل

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون -أمودجا-

أمها" دار شيخ آيت سليمان" وهناك حاول ابنه "مقران" التعدي عليها، ولكنها دافعت عن نفسها وأخبرت أمها بما جرى معها، فلم تتجاوز أمها هذا الأمر وقامت بفضحهم أمام أهل القرية، وأثناء هذه الفترة عاد عامر من فرنسا، عاش حياة بائسة فسافر كغيره من الشباب إلى فرنسا لتحسين فقضى فيها أربع سنوات ثم عاد بعدها محملاً بأفكار غريبة.

عامر الشاب الوسيم المثقف متفتح وذكي، كل هذا جعله محل إعجاب الفتيات حيث كانوا يتحدثون عنه قبل عودته من فرنسا، وهذا ما جعل ذهبية تتشوق لرؤيته لكثرة حديث صديقاته عنه في العين، وكذلك كلام أمه المدام، حينما كانت تزورها في بيتها لأنها كانت جارقتها، ولما جاء يوم اللقاء واجهته بنوع من المعادة، لأنها تخاف أن لا يعيرها أي اهتمام، ويعتبرها فتاة صغيرة مسيحية مرتدة عن الإسلام، ولكنها عازمت أن تغير تلك النظرة، وبالفعل هذا ما حدث، واستطاعت أن تغير إلى امرأة كاملة الأنوثة، حيث أصبح يحبها فبادلته الحب، فمن نظرة إلى كلمة إلى لقاء، وأصبحت قريبة منه أكثر بعد وفاة أمه المدام، أما ننه مألحة فقد شجعت هذه العلاقة لأنها في نظرها متناسبين، غير أن (ويزة) برزت كمنافسة لذهبية للفوز بحب عامر التي كانت بينهما قصة حب قديمة، فتعود إلى إحياء تلك المشاعر القديمة رغم أنها متزوجة بمقران، فتشعر ذهبية بنوع من الحزن الشديد لخيانة عامر لها وتزرع الغيرة في قلبها، وعند معرفة مقران بخيانتة زوجته له أراد الانتقام من عامر عن طريق ذهبية، ففي يوم من الأيام عند ذهابها إلى العين التقت به، وهي مفطورة القلب، فعندما تراه تشعر نحوه بالشفقة لخيانة زوجته له، تبتسم له، فاقترب منها وأمسك يدها ثم اصطحبها إلى الكوخ.

بعد أن قضى على كل أحلامها وانهارت كل قواها، وما زاد همها أكثر هو يوم اكتشف عامر أنها فقدت شرفها، فتركها وتخلى عنها واتهمها بالخيانة، وكان آخر لقاء بينهما لكن رغم كل هذا إلا أنها حذرت من مقران الذي ينوي قتله، والانتقام منه بسبب علمه بعلاقته مع زوجته ويزة فشرع يكتب كالعادة في مذكراته، حتى سمع وقع أقدام في فناء بيته، فعرف حينها أنه مقران فقال في نفسه أن غضبه لا يقل عن غضبي، وفي اليوم الموالي انتشرت في القرية خبر انتحار عامر بسبب ظروفه الصعبة، ولكن ذهبية بعد إطلاعها على دفتر يومياته، والتي كتب فيها كل ما حدث له طوال حياته حيث كان

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون - أنموذجا-

يعبر عن كل آلامه، ومآسيه في الكتاب حيث كان يسجل فيه كل صغيرة وكبيرة، من خلالها اتضح لذهبية أن مقران زار عامر في تلك الليلة، كما اكتشفت أن عامر لم يكن يحب غيرها وملكت قلبه، مما زاد في حزنها على فراقها له.

ومن هذا كله نلاحظ أن هذه الرواية بدون نهاية محددة، حيث أن ذهبية لم يحدد مصيرها وموت عامر بقيت مجهولة.

خاتمة

يبقى موضوع بحثنا هذا الموسوم بـ: الرواية الخلفية الاجتماعية في أدب مولود فرعون "الدروب الصاعدة - أتمودجا-" حيث تعد من أهم الدراسات في التحليل والغوص في عمق الرواية ومعرفة أنما مهما اختلفت تعاريفها تبقى نوعا أدبيا حديثا يصور الواقع الاجتماعي وحياة الإنسان وتكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة بعض الفرنسيين الذين أرادوا تزييف حقيقة الوضع، خلال فترة الاحتلال الفرنسي حيث تجد نفسك أمام ثقافة فرنسية خالصة فيعتبر هذا الوضع طغيان واجتهاده، في محو الهوية الجزائرية عبر نحو 130 سنة حيث جاءهم الرد السريع من الروائي الجزائري الذي قرر فضح المستعمر والإطاحة به من خلال لغته.

واستعمل مولود فرعون اللغة الفرنسية كسلاح حرب يدعم به الأدب الوطني، وهذا دليل على رفضه للاستعمار وكل هذا من أجل البحث عن حقيقة الهوية للشخصية الجزائرية، ولكي يقول لا للفرنسيين بلغتهم، حيث تميزت روايته بالقمع الفرنسي، وهذا لم يمنعه من المحافظة على لغته الأصلية، وهذا ما يدل على وجود أدب نضالي جزائري، فرنسي الشكل جزائري المضمون.

والقصة الجزائرية التزمت بوصف الواقع الاجتماعي ومشاكله المتعددة رغم المحاولات التي مارسها الاستعمار من أجل القضاء على المقومات الوطنية، إلا أن الكاتب مولود فرعون حافظ عليها رغم استعماله لغة العدو. فهذه المقومات هي التي تبرز أصله وانتمائه الحقيقي.

وتعد رواية "الدروب الصاعدة" لمولود فرعون الصورة الحية لواقع الجزائر بعامة وبلاد القبائل خاصة وتصوير واقع الشعب الجزائري وطموحاته حيث جسدت جميع معاناته، من ويلات الاستعمار من ظلم، فقر، وبطالة وهجرة وكيف استطاع الشعب الجزائري مواجهة كل تلك الضغوطات، وتأقلم معها إن العمل الأدبي الذي طرحه مولود فرعون يجعل القارئ لا يشعر بالغرابة وهذا لالتزامه بقضايا الواقع المعيشي في الجزائر.

قائمة المصادر

والمراجع

المراجع:

الكتب:

1. أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي (نشأته وتطوره وقضاياها)، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
2. عبد القادر شرشار، الرواية البوليسية بحث في النظرية والاصول التاريخية والخصائص الفنية ةاثر ذلك في الرواية العربية، د-ط، اتحاد كتاب العرب للنشر والتوزيع، دمشق، 2003.
3. محمد عيد الطربولي، المكان في الشعر الاندلسي مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2005.
4. محمود قاسم، الادب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، د.ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996.
5. مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، جامعة محمد خيضر الجزائر، 2009.
6. مولود فرعون، رواية ابن الفقير، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2014.
7. مولود فرعون، الدروب الوعرة، ترجمة د حنفي بن عيسى، ط5، مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

المذكرات:

1. جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية دراسة سيسيونقديية، أطروحة لنيل الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث جامعة وهران، 2010.
2. جبور فاطمة الزهراء، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية رواية بماذا تحلم الذئاب لياسمينه خضراء دراسة تطبيقية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة جامعة احمد بن بلة وهران، 2015.
3. كهينة حورية حفاط، ترجمة الثقافة الاثنوغرافية في رواية مولود فرعون "نجل الفقير" و " الدروب الشاقة" مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة منتوري قسنطينة، 2008.

المجلات:

4. بوعلام بطاطاش، سيميائية العنوان في روايات مولود فرعون، تيسمسيلت، العدد 02، 2021.
5. خليف هوارية، دراسات معاصرة، مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية، منشورات محبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، المركز الجامعي النشريس بتيسمسيلت، العدد 02، 2017.
6. زوليخة مدوقنارو، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مجلة الحكمة للدراسات الادبية واللغوية، العدد 15، 2018.
7. ليلي تيتة، مولود فرعون والثورة الجزائرية من خلال كتابه les journal مجلة منتدى الأساتذة، العدد 01، 2020.
8. نبراج سفيطلا، مولود فرعون وابداعه، مجلة التبيين، جمعية جمعية الجاحظية الثقافية، الجزائر، العدد 8، 1994.
9. نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، مجلة المخبر البحوث اللغة والادب الجزائري، جامعة محمد خيضر، الجزائر العدد 07، 2011.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

فهرس المحتويات

أ..... مقدمة

مدخل

05..... 1- الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

06..... 2- نشأة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

10..... 3- إشكالية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

الفصل الأول: الجانب النظري

15..... 1- نبذة عن حياة مولود فرعون

17..... 2- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

19..... 3- الرواية الجزائرية المكتوبة بالقلم الفرنسي والثورة التحريرية

23..... 4- علاقة الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي والثورة التحريرية

24..... -أثر الرواية الجزائرية في الكتابة الروائية

25..... -أبرز كتاب الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية

الجانب التطبيقي

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية حول رواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون -أنموذجا-

32..... تمهيد

33..... 1- عتبة العنوان ودلالته

34..... 2- الدوافع الاجتماعية في تشكيل خطاب مولود فرعون

38..... 3- القضايا الاجتماعية في عمل الرواية "الدروب الوعرة"

43.....	4- دلالة الأشياء والأماكن في رواية "الدروب الوعرة "
49.....	5- ملخص الرواية " الدروب الوعرة "
53.....	خاتمة
55.....	قائمة المصادر والمراجع
59.....	فهرس المحتويات
	ملخص

ملخص:

هكذا نكون قد أتينا على نهاية الدراسة، الذي حاولنا من خلاله أن ندرس الخلفية الاجتماعية في أدب مولود فرعون "الدروب الصاعدة" أنموذجا، فمن خلال دراستنا لها نستخلص أن مولود فرعون استطاع أن يجسد لنا كل معاناة الشعب الجزائري، والقبائلي خاصة، فالرواية كانت تعكس لنا الظروف الصعبة والقاسية، بسبب ما أحدثته الاستعمار، كل هذه الظروف ألفت على الحياة اليومية للجزائريين، التي أقحمتهم في مشاكل مادية، ومعنوية وحرمتهم حتى من أبسط حقوقهم وأحلامهم.

متحدثا في ذلك على منطقة القبائل، وعن عاداتهم وتقاليدهم ودينهم، وكيف حاول الاستعمار الغاشم التفرقة بينهم وزرع الحقد والفتنة، ومحو الدين الإسلامي باللجوء إلى سياسة التبشير.

وعليه نستخلص من هذه الدراسة أن الكاتب أبدع، في وصفه لما حاول الاستعمار القيام به، من طمس الهوية الجزائرية بمحو الدين واللغة، وزرع الفتن والجهل.

Résumé:

Nous sommes donc venus à nous à la fin de l'étude que nous avons essayé d'épouser les antécédents sociaux à la naissance d'une naissance née des balles. Le dernier colonialisme est toutes ces circonstances sur la vie quotidienne des Algériens, qui les ont amenés à , problèmes moraux et de destruction même de leurs droits et de leurs rêves les plus simples.

S'exprimant sur la région tribale, leurs habitudes, leurs habitudes, leurs traditions et leur religion, et comment le colonialisme brutal a essayé de les distinguer et entraver la haine, la sédition et l'effacement islamiste en recourant à la politique de prédication

Il s'appuie donc sur cette étude que l'auteur a été appelé dans sa description de ce que le colonialisme a essayé de faire, de blesser l'identité algérienne par érosion de la religion, de la langue, de la promenade et de l'ignorance.